تَفْسِيرُ المُعَوِّذَاتِ

لِأَبِي الحَسَنِ مُحَمَّدِ بنِ حَسَنِ بنِ عَبَاسٍّ

حَفِظَهُ اللّٰهُ

تَفسِيرُ سُورَةِ الفلق

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سُورَةُ الفلق

أَسْمَاءُ السُّورَةِ:-

سَمَّى النَّبِيُّ ﷺ هَذِهِ السُّورَةَ: قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ، وَسَمَّاهَا مَعَ سُورَةِ النَّاسِ «الْـمُعَوِّذَتَيْنِ»، عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ قَالَ: «أَمَرَنِي رَسُولُ اللَّـهِ ﷺ أَنْ أَقْرَأَ بِالْـمُعَوِّذَاتِ، وَفِي رِوَايَةٍ: «بِالْـمُعَوِّذَتَيْنِ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ»[(١)].

وَسَمَّى ابْنُ عَطِيَّةَ سُورَةَ الْفَلَقِ الْـمُعَوِّذَةَ الْأُولَى.

وَسُمِّيَتْ فِي أَكْثَرِ الْـمَصَاحِفِ وَمُعْظَمِ كُتُبِ التَّفْسِيرِ «سُورَةَ الْفَلَقِ».

❂ **وَقَالَ السُّيُوطِيُّ:** سُورَةُ الْفَلَقِ وَسُورَةُ النَّاسِ تُسَمَّيَانِ: «الْـمُشَقْشِقَتَيْنِ» (بِتَقْدِيمِ الشِّينَيْنِ)[(٢)].

❂ **وَقَالَ الْـمَاوَرْدِيُّ:** هَذِهِ السُّورَةُ وَسُورَةُ النَّاسِ مَعُوذَتَا رَسُولِ اللَّـهِ ﷺ حِينَ سَحَرَتْهُ اليَهُودُ يُقَالُ لَهُمَا (الْـمُقَشْقِشَتَانِ) أَي الْمُبَرَّئَتَانِ مِنَ النِّفَاقِ[(٣)].

(١) «سُنَنُ التِّرْمِذِيِّ ت بَشَّارٌ» (٥/ ٢١) وَفِيهِ ضَعْفٌ.

(٢) «اَلإِتْقَانُ فِي عُلُومِ اَلْقُرْآنِ» (١ / ١٩٧). «اَلتَّحْرِيرُ وَالتَّنْوِيرُ» (٣٠ / ٦٢٣).

(٣)«تَفْسِيرُ اَلْمَاوَرْدِيِّ = اَلنُّكَتُ وَالْعُيُونُ» (٦/ ٣٧٣).

📖 **المُنَاسَبَةُ بَيْنَ اِسْمِ السُّورَةِ وَمَوْضُوعِهَا:** -

۞ **قَالَ الْبِقَاعِيُّ:** مَقْصُودُ سُورَةِ الْفَلَقِ الِاعْتِصَامُ مِنْ شَرِّ كُلِّ مَا اِنْفَلَقَ عَنْهُ الْخَلْقُ الظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ، وَاسْمُهَا ظَاهِرُ الدَّلَالَةِ عَلَى ذَلِكَ. اِنْتَهَى[1].

📖 **مُنَاسَبَةُ الْـمُعَوِّذَتَيْنِ لِمَا قَبْلَهُمَا:** -

الْوَجْهُ الْأَوَّلُ: سُورُ الْإِخْلَاصِ وَالْفَلَقِ وَالنَّاسِ، تَشْتَرِكُ فِي اِسْمِ (الْمُعَوِّذَاتِ).

الوَجْهُ الثَّانِي: السُّورُ الثَّلَاثَةُ مُفْتَتَحَةٌ بِلَفْظٍ وَاحِدٍ (قُلْ).

الوَجْهُ الثَّالِثُ: قَالَ أَبُو حَيَّانَ: «ولَمَّا شَرَحَ اللهُ أَمْرَ الإِلَهِيَةِ فِي السُّورَةِ قَبْلَهَا، جِيءَ بِهَذِهِ السُّورَةِ بَعْدَهَا؛ شَرْحًا لِمَا يُسْتَعَاذُ مِنْهُ -بِاللهِ تَعَالَى- مِنَ الشَّرِّ الَّذِي فِي مَرَاتِبِ العَالَمِ ومَرَاتِبِ مَخْلُوقَاتِهِ».

الْوَجْهُ الرَّابِعُ: لَمَّا ذَكَرَ اللَّهُ فِي سُورَةِ الْإِخْلَاصِ أَنَّهُ الصَّمَدُ، نَاسَبَ ذَلِكَ أَنْ يُسْتَعَاذَ بِهِ مِنْ كُلِّ مَخْلُوقٍ.

الْوَجْهُ الخَامِسُ: أَنَّهُ سُبْحَانَهُ لَمَّا أَمَرَ بِقِرَاءَةِ سُورَةِ الْإِخْلَاصِ تَنْزِيهًا لَهُ عَمَّا لَا يَلِيقُ بِهِ فِي ذَاتِهِ وَصِفَاتِهِ، وَكَانَ ذَلِكَ مِنْ أَعْظَمِ الطَّاعَاتِ، فَكَأَنَّ الْعَبْدَ قَالَ: إِلَهَنَا هَذِهِ الطَّاعَةُ عَظِيمَةٌ جِدًّا، لَا أَثِقُ بِنَفْسِي فِي الْوَفَاءِ بِهَا، فَأَجَابَهُ اللهُ بِأَنْ قَالَ: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾ [الفَلَق: ١] أَيْ: اسْتَعِذْ بِاللهِ، وَالْتَجِئْ إِلَيْهِ حَتَّى يُوَفِّقَكَ لِهَذِهِ الطَّاعَةِ عَلَى أَكْمَلِ الْوُجُوهِ.

---

(١) «نَظْمُ الدُّرَرِ» (٢٢/ ٤٠٦).

الْوَجْهُ السَّادِسُ: أَنَّ الْكُفَّارَ لَمَّا سَأَلُوا الرَّسُولَ عَنْ نِسْبَةِ الله وَصِفَتِهِ، فَكَأَنَّ الرَّسُولَ -عَلَيْهِ السَّلَامُ- قَالَ: كَيْفَ أَنْجُو مِنْ هَؤُلَاءِ الْجُهَّالِ الَّذِينَ تَجَاسَرُوا وَقَالُوا فِيكَ مَا لَا يَلِيقُ بِكَ، فَقَالَ اللهُ: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾ [الفَلَق: ١] أَيْ: اسْتَعِذْ بِي حَتَّى أَصُونَكَ عَنْ شَرِّهِمْ.

الْوَجْهُ السَّابِعُ: لَمَّا رَدَّتْ سُورَةُ الْإِخْلَاصِ عَلَى كُلِّ الفِرَقِ فَأَبْطَلَتْهَا، فَكَأَنَّ النَّاسَ قَالُوا وَلِمَنْ نَلْجَأُ لِنَسْلَمَ مِنْ كُلِّ هَذِهِ الْمُعْتَقَدَاتِ البَاطِلَةِ وَبِمَنْ نَسْتَعِيذُ فَجَاءَتْ سُورَةُ الْفَلَقِ لِتَقُولَ اسْتَعِيذُوا بِاللَّهِ رَبِّ الْفَلَقِ، فَمِنْ فَلَقَ الْمَخْلُوقَاتِ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى ذَلِكَ لَا غَيْرُهُ(١).

أَغْرَاضٌ مُشْتَرَكَةٌ لِسُورَتِي الْفَلَقِ وَالنَّاسِ:

قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ: هَاتَانِ السُّورَتَانِ (الفَلَقُ والنَّاسُ) لا يَسْتَغْنِي عَنْهُمَا أَحَدٌ قَطُّ، ولَهُمَا تَأْثِيرٌ خَاصٌّ فِي دَفْعِ السِّحْرِ والعَيْنِ وسَائِرِ الشُّرُورِ، وحَاجَةُ العَبْدِ إِلَى الاسْتِعَاذَةِ بِهَاتَيْنِ السُّورَتَيْنِ أَعْظَمُ مِنْ حَاجَتِهِ إِلَى النَّفَسِ والطَّعَامِ والشَّرَابِ واللِّبَاسِ(٢).

وَقَالَ: هَاتَانِ السُّورَتَانِ مِنْ أَعْظَمِ أَعْلَامِ النُّبُوَّةِ وبَرَاهِينِ صِدْقِ رِسَالَةِ مُحَمَّدٍ ﷺ، ومُضَادَّتَانِ لِمَا جَاءَ بِهِ الشَّيَاطِينُ مِنْ كُلِّ وَجْهٍ، ومُبَيِّنَةٌ أَنَّ

(١) «مَفَاتِيحُ الغَيْبِ» (٣٢/ ٣٦٩) «أَسْرَارُ تَرْتِيبِ القُرْآنِ» (ص١٧٣) «اَلْبَحْرُ الْمُحِيطُ فِي اَلتَّفْسِيرِ» (١٠/ ٥٧٥).

(٢) «بَدَائِعُ الْفَوَائِدِ» (٢/ ١٩٩).

مَا جَاءَ بِهِ مَا تَنَزَّلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ، ومَا يَنْبَغِي لَهُم، ومَا يَسْتَطِيعُونَ، فَمَا فَعَلُوهُ، ولَا يَلِيقُ بِهِمْ، ولَا يَتَأَتَّى مِنْهُم، ولَا يَقْدِرُونَ عَلَيْهِ[1].

وَتَضَمَّنَتْ هَاتَانِ السُّورَتَانِ الاِسْتِعَاذَةَ مِنَ الشُّرُورِ كُلِّهَا، بِأَوْجَزِ لَفْظٍ وأَجْمَعِهِ وأَدَلِّهِ عَلَى المُرَادِ وأَعَمِّهِ اسْتِعَاذَةً، بِحَيْثُ لَمْ يَبْقَ شَرٌّ مِنَ الشُّرُورِ إِلَّا دَخَلَ تَحْتَ الشَّرِّ المُسْتَعَاذِ مِنْهُ فِيهِمَا[2].

۞ **وَقَالَ:** وَالسُّورَتَانِ مُعَلِّمَتَانِ بِأَنَّ الْبَلَايَا كَثِيرَةٌ وَهُوَ قَادِرٌ عَلَى دَفْعِهَا، فَهُمَا حَامِلَتَانِ عَلَى الْخَوْفِ وَالرَّجَاءِ، وَذَلِكَ هُوَ لُبَابُ الْعُبُودِيَّةِ[3].

وَقَالَ حَاصِلُ هَذِهِ السُّورَةِ الْعُظْمَى فِي مَعْنَاهَا الْأَبْدَعِ الْأَسْمَى الِاسْتِعَاذَةُ بِاللَّهِ بِذِكْرِ اسْمِهِ (الرَّبِّ) الْمُقْتَضِي لِلْإِحْسَانِ وَالتَّرْبِيَةِ بِجَلْبِ النِّعَمِ وَدَفْعِ النِّقَمِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ وَمِنَ السَّحَرِ وَالْحَسَدِ[4].

شُبْهَةٌ وَجَوَابُهَا: إِنْكَارُ ابْنِ مَسْعُودٍ لِكَوْنِ الْمُعَوِّذَتَيْنِ مِنَ الْقُرْآنِ:

إِنْ قَالَ قَائِلٌ مَا الرَّدُّ عَلَى مَنْ قَالَ: زَعَمَ ابْنُ مَسْعُودٍ أَنَّ الْمُعَوِّذَتَيْنِ دُعَاءٌ تَعَوَّذَ بِهِ، وَلَيْسَتَا مِنَ الْقُرْآنِ؟

---

(١) «بَدَائِعُ الْفَوَائِدِ» (٢/ ٧٣٥).

(٢) «بَدَائِعُ الْفَوَائِدِ» (٢/ ٧١٠).

(٣) «نَظْمُ الدُّرَرِ» (٢٢/ ٤١٥).

(٤) «نَظْمُ الدُّرَرِ» (٢٢/ ٤١٩).

أَوَّلاً: هَلْ ثَبَتَ عَنِ اِبْنِ مَسْعُودٍ إِنْكَارُ الْمُعَوِّذَتَيْنِ؟

نَعَمْ ثَبَتَ ذَلِكَ، وَقَدْ حَاوَلَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ نَفْيُ ذَلِكَ عَنْهُ كَابْنِ حَزْمٍ وَالرَّازِيِّ وَالنَّوَوِيِّ، وَاسْتَدَلُّوا بِقِرَاءَةِ عَاصِمٍ عَنْ زِرٍّ عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ وَفِيْهَا الْفَاتِحَةُ وَالْمُعَوِّذَتَانِ.

قَالَ النَّوَوِيُّ: أَجْمَعَ الْمُسْلِمُونَ عَلَى أَنَّ الْمُعَوِّذَتَيْنِ وَالْفَاتِحَةَ وَسَائِرَ السُّوَرِ الْمَكْتُوبَةِ فِي الْمُصْحَفِ قُرْآنٌ، وَأَنَّ مَنْ جَحَدَ شَيْئًا مِنْهُ كَفَرَ، وَمَا نُقِلَ عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ فِي الْفَاتِحَةِ وَالْمُعَوِّذَتَيْنِ بَاطِلٌ لَيْسَ بِصَحِيحٍ عَنْهُ[١].

وَقَدْ سَبَقَهُ لِنَحْوِ ذَلِكَ أَبُو مُحَمَّدِ بْنُ حَزْمٍ، فَقَالَ فِي أَوَائِلِ الْمُحَلَّى: «مَا نُقِلَ عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ مِنْ إِنْكَارِ قُرْآنِيَّةِ الْمُعَوِّذَتَيْنِ فَهُوَ كَذِبٌ بَاطِلٌ»، وَكَذَا قَالَ الْفَخْرُ فِي أَوَائِلِ تَفْسِيرِهِ: «الْأَغْلَبُ عَلَى الظَّنِّ أَنَّ هَذَا النَّقْلَ عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ كَذِبٌ بَاطِلٌ، وَقَالَ ابْنُ حَجَرٍ: وَالطَّعْنُ فِي الرِّوَايَاتِ الصَّحِيحَةِ بِغَيْرِ مُسْتَنَدٍ لَا يُقْبَلُ، بَلِ الرِّوَايَةُ صَحِيحَةٌ، وَالتَّأْوِيلُ مُحْتَمَلٌ، وَالْإِجْمَاعُ الَّذِي نَقَلَهُ إِنْ أَرَادَ شُمُولَهُ لِكُلِّ عَصْرٍ؛ فَهُوَ مَخْدُوشٌ، وَإِنْ أَرَادَ اسْتِقْرَارَهُ؛ فَهُوَ مَقْبُولٌ»[٢].

---

(١) «الْمَجْمُوعُ شَرْحُ الْمُهَذَّبِ» (٣/ ٣٩٦).

(٢) يُنْظَرُ «فَتْحُ الْبَارِي» (٨/ ٧٤٣).

أَوَّلًا: الأَدِلَّةُ عَلَى نَفْيِ ابْنِ مَسْعُودٍ لِلْمُعَوِّذَاتِ:

عَنْ زِرٍّ، قَالَ: سَأَلْتُ أُبَيَّ بْنَ كَعْبٍ، قُلْتُ: يَا أَبَا الْمُنْذِرِ إِنَّ أَخَاكَ ابْنَ مَسْعُودٍ يَقُولُ كَذَا وَكَذَا، فَقَالَ أُبَيٌّ: سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ لِي: «قِيلَ لِي فَقُلْتُ» قَالَ: فَنَحْنُ نَقُولُ كَمَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ(١).

وَعَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ يَزِيدَ قَالَ: رَأَيْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ مَسْعُودٍ مَحَا الْمُعَوِّذَتَيْنِ مِنْ مَصَاحِفِهِ، وَقَالَ: «لَا تَخْلِطُوا فِيهِ مَا لَيْسَ مِنْهُ»(٢).

وَعَنِ ابْنِ سِيرِينَ قَالَ: «كَانَ ابْنُ مَسْعُودٍ لَا يَكْتُبُ الْمُعَوِّذَتَيْنِ»(٣) فَهَذِهِ أَدِلَّةٌ لَا مَطْعَنَ فِيهَا تُثْبِتُ مَا ذَكَرْنَاهُ عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ.

ثَانِيًا: هَلْ تَابَعَ ابْنَ مَسْعُودٍ عَلَى ذَلِكَ أَحَدٌ مِنَ الصَّحَابَةِ؟

قَالَ الْبَزَّارُ: وَلَمْ يُتَابِعِ ابْنَ مَسْعُودٍ عَلَى ذَلِكَ أَحَدٌ مِنَ الصَّحَابَةِ، وَقَدْ صَحَّ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَرَأَهُمَا فِي الصَّلَاةِ(٤).

عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ، أَنَّهُ سَأَلَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنِ الْمُعَوِّذَتَيْنِ، قَالَ: «فَأَمَّنَا بِهِمَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي صَلَاةِ الْفَجْرِ»(٥).

---

(١) «صَحِيحُ الْبُخَارِيِّ» (٦/ ١٨١).

(٢) «مُصَنَّفُ ابْنِ أَبِي شَيْبَةَ» (٦/ ١٤٦).

(٣) «مُصَنَّفُ ابْنِ أَبِي شَيْبَةَ» (٦/ ١٤٧).

(٤) «مَسْنَدُ الْبَزَّارِ = الْبَحْرُ الزَّخَارُ» (٥/ ٢٩).

(٥) «مُصَنَّفُ ابْنِ أَبِي شَيْبَةَ» (٦/ ١٤٦).

۞ **وَعَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ، قَالَ:** بَيْنَا أَنَا أَقُودُ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ فِي نَقَبٍ مِنْ تِلْكَ النِّقَابِ، إِذْ قَالَ لِي: «يَا عُقْبَ، أَلَا تَرْكَبُ؟» قَالَ: فَأَجْلَلْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ أَنْ أَرْكَبَ مَرْكَبَهُ، ثُمَّ قَالَ: «يَا عُقْبُ، أَلَا تَرْكَبُ؟» قَالَ: فَأَشْفَقْتُ أَنْ تَكُونَ مَعْصِيَةً، قَالَ: فَنَزَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَرَكِبْتُ هُنَيَّةً، ثُمَّ رَكِبَ، ثُمَّ قَالَ: «يَا عُقْبُ، أَلَا أُعَلِّمُكَ سُورَتَيْنِ مِنْ خَيْرِ سُورَتَيْنِ قَرَأَ بِهِمَا النَّاسُ؟» قَالَ: قُلْتُ: بَلَى يَا رَسُولَ اللهِ. قَالَ: فَأَقْرَأَنِي: قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ وَقُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ، ثُمَّ أُقِيمَتِ الصَّلَاةُ، فَتَقَدَّمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَقَرَأَ بِهِمَا، ثُمَّ مَرَّ بِي، قَالَ: «كَيْفَ رَأَيْتَ يَا عُقْبُ؟ اقْرَأْ بِهِمَا كُلَّمَا نِمْتَ وَكُلَّمَا قُمْتَ»(١).

۞ **وَعَنْ أَبِي الْعَلَاءِ بْنِ الشِّخِّيرِ، قَالَ:** قَالَ رَجُلٌ: كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي سَفَرٍ وَالنَّاسُ يَعْتَقِبُونَ، وَفِي الظَّهْرِ قِلَّةٌ، فَحَانَتْ نَزْلَةُ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَنَزْلَتِي، فَلَحِقَنِي مِنْ بَعْدِي، فَضَرَبَ مَنْكِبَيَّ، فَقَالَ: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾ [الفلق: ١]، فَقُلْتُ: أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ، فَقَرَأَهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ وَقَرَأْتُهَا مَعَهُ، ثُمَّ قَالَ: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾ [الناس: ١]، فَقَرَأَهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ وَقَرَأْتُهَا مَعَهُ، قَالَ: «إِذَا أَنْتَ صَلَّيْتَ فَاقْرَأْ بِهِمَا»(٢) وَقَالَ الْحَافِظُ: إِسْنَادُهُ صَحِيحٌ.

۞ **وَعَنْ زِرِّ بْنِ حُبَيْشٍ، قَالَ:** سَأَلْتُ أُبَيَّ بْنَ كَعْبٍ عَنِ الْمُعَوِّذَتَيْنِ؟

---

(١) «مُسْنَدُ أَحْمَدَ» (٢٨/ ٥٢٩ ط الرِّسَالَةُ).

(٢) «مُسْنَدُ أَحْمَدَ» (٣٣/ ٤٠٦ ط الرِّسَالَةُ)

فَقَالَ: سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: «قِيلَ لِي فَقُلْتُ» فَنَحْنُ نَقُولُ كَمَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ»[(١)].

❁ **وَعَنِ الشَّعْبِيِّ، قَالَ:** «الْـمُعَوِّذَتَانِ مِنَ الْقُرْآنِ»[(٢)].

❁ **وَعَنِ الْأَعْمَشِ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ النَّخَعِيِّ، قَالَ:** قُلْتُ لِلْأَسْوَدِ: مِنَ الْقُرْآنِ هُمَا؟، قَالَ: «نَعَمْ»، يَعْنِي: الْـمُعَوِّذَتَيْنِ[(٣)].

❁ **وَعَنْ مَنْصُورٍ الْقَصَّابِ، قَالَ:** سَأَلْتُ الْحَسَنَ قُلْتُ: يَا أَبَا سَعِيدٍ أَقْرَأُ الْـمُعَوِّذَتَيْنِ فِي صَلَاةِ الْفَجْرِ؟، قَالَ: «نَعَمْ إِنْ شِئْتَ، سُورَتَانِ مُبَارَكَتَانِ طَيِّبَتَانِ»[(٤)].

❁ **وَقَالَ الْبَيْهَقِيُّ: بَابٌ فِي الْـمُعَوِّذَتَيْنِ قَالَ الشَّافِعِيُّ رَحِمَهُ اللهُ:** « هُمَا مَكْتُوبَتَانِ فِي الْـمُصْحَفِ الَّذِي جُمِعَ عَلَى عَهْدِ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، ثُمَّ كَانَ عِنْدَ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، ثُمَّ عِنْدَ حَفْصَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، ثُمَّ جَمَعَ عُثْمَانُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَلَيْهِ النَّاسَ وَهُمَا مِنْ كِتَابِ اللهِ وَأَنَا أُحِبُّ أَنْ أَقْرَأَ بِهِمَا فِي صَلَاتِي[(٥)].

---

(١) «صَحِيحُ الْبُخَارِيِّ» (٦/ ١٨١).

(٢) «مُصَنَّفُ ابْنِ أَبِي شَيْبَةَ» (٦/ ١٤٦).

(٣) «مُصَنَّفُ ابْنِ أَبِي شَيْبَةَ» (٦/ ١٤٦).

(٤) «مُصَنَّفُ ابْنِ أَبِي شَيْبَةَ» (٦/ ١٤٦).

(٥) «السُّنَنُ الْكُبْرَى لِلْبَيْهَقِيِّ» (٥/ ٢٣).

📖 ثَالِثًا: أَقْوَالُ العُلَمَاءِ فِي تَوْجِيهِ قَوْلِ ابْنِ مَسْعُودٍ:

* القَوْلُ الأَوَّلُ: ظَنَّ ابْنُ مَسْعُودٍ المُعَوِّذَتَيْنِ رُقْيَةً فَقَطْ.

۞ قَالَ ابْنُ قُتَيْبَةَ: إِنَّ لِابْنِ مَسْعُودٍ فِي ذَلِكَ سَبَبًا، وَالنَّاسُ قَدْ يَظُنُّونَ وَيَزِلُّونَ، وَإِذَا كَانَ هَذَا جَائِزًا عَلَى النَّبِيِّينَ وَالْمُرْسَلِينَ، فَهُوَ عَلَى غَيْرِهِمْ أَجْوَزُ.

وَسَبَبُهُ فِي تَرْكِهِ إِثْبَاتَهُمَا فِي مُصْحَفِهِ؛ أَنَّهُ كَانَ يَرَى النَّبِيَّ ﷺ يُعَوِّذُ بِهِمَا الْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ، وَيُعَوِّذُ غَيْرَهُمَا، كَمَا كَانَ يُعَوِّذُهُمَا بِـ«أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّةِ مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ وَهَامَّةٍ، وَمِنْ كُلِّ عَيْنٍ لَامَّةٍ»[1] فَظَنَّ أَنَّهُمَا لَيْسَتَا مِنَ الْقُرْآنِ، فَلَمْ يُثْبِتْهُمَا فِي مُصْحَفِهِ[2].

وَنُوقِشَ هَذَا الْقَوْلُ:

۞ قَالَ أَبُو بَكْرٍ الْأَنْبَارِيُّ: وَهَذَا مَرْدُودٌ عَلَى ابْنِ قُتَيْبَةَ؛ لِأَنَّ الْمُعَوِّذَتَيْنِ مِنْ كَلَامِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، الْمُعْجِزِ لِجَمِيعِ الْمَخْلُوقِينَ، وَ «أُعِيذُكُمَا بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّةِ» مِنْ قَوْلِ الْبَشَرِ بَيِّنٌ، وَكَلَامُ الْخَالِقِ الَّذِي هُوَ آيَةٌ لِمُحَمَّدٍ ﷺ خَاتَمِ النَّبِيِّينَ، وَحُجَّةٌ لَهُ بَاقِيَةٌ عَلَى جَمِيعِ الْكَافِرِينَ، لَا يَلْتَبِسُ بِكَلَامِ الْآدَمِيِّينَ، عَلَى مِثْلِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ الْفَصِيحِ اللِّسَانِ، الْعَالِمِ بِاللُّغَةِ، الْعَارِفِ بِأَجْنَاسِ الْكَلَامِ، وَأَفَانِينِ الْقَوْلِ[3].

---

(١) «صحيح البُخَارِيِّ» (٤/ ١٤٧) عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ.

(٢) «تَأْوِيلُ مُخْتَلِفِ الحَدِيثِ» (ص٧٦).

(٣) «تَفْسِيرُ الْقُرْطُبِيِّ» (٢٠/ ٢٥١).

* القَوْلُ الثَّانِي: لَمْ يَكْتُبِ الـمُعَوِّذَتَيْنِ؛ لِأَنَّهُ أَمِنَ عَلَيْهِمَا النِّسْيَانَ:

لَمْ يَكْتُبْ عَبْدُ اللَّهِ الْـمُعَوِّذَتَيْنِ؛ لِأَنَّهُ أَمِنَ عَلَيْهِمَا مِنَ النِّسْيَانِ، فَأَسْقَطَهُمَا -وَهُوَ يَحْفَظُهُمَا- كَمَا أَسْقَطَ فَاتِحَةَ الْكِتَابِ مِنْ مُصْحَفِهِ، وَلَا يُشَكُّ فِي حِفْظِهِ وَإِتْقَانِهِ لَهَا.

وَنُوقِشَ هَذَا الْقَولُ، وَاحْتُجَّ عَلَى قَائِلِهِ، بِأَنَّهُ قَدْ كَتَبَ: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ﴾، وَ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ﴾، وَ ﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ وَهُنَّ يَجْرِينَ مَجْرَى الْـمُعَوِّذَتَيْنِ فِي أَنَّهُنَّ غَيْرُ طِوَالٍ، وَالْحِفْظُ إِلَيْهِنَّ أَسْرَعُ، وَنِسْيَانُهُنَّ مَأْمُونٌ، وَكُلُّهُنَّ يُخَالِفُ فَاتِحَةَ الْكِتَابِ، إِذِ الصَّلَاةُ لَا تَتِمُّ إِلَّا بِقِرَاءَتِهَا، وَسَبِيلُ كُلِّ رَكْعَةٍ أَنْ تَكُونَ الْـمُقَدِّمَةُ فِيهَا قَبْلَ مَا يَقْرَأُ مِنْ بَعْدِهَا، فَإِسْقَاطُ فَاتِحَةِ الْكِتَابِ مِنَ الْـمُصْحَفِ عَلَى مَعْنَى الثِّقَةِ بِبَقَاءِ حِفْظِهَا وَالْأَمْنِ مِنْ نِسْيَانِهَا صَحِيحٌ، وَلَيْسَ مِنَ السُّوَرِ مَا يَجْرِي فِي هَذَا الْـمَعْنَى مَجْرَاهَا، وَلَا يَسْلُكُ بِهِ طَرِيقَهَا[١].

- وَقَدْ تَأَوَّلَ الْقَاضِيُّ أَبُو بَكْرٍ الْبَاقِلَّانِيُّ فِي كِتَابِ الِانْتِصَارِ وَتَبِعَهُ عِيَاضٌ وَغَيْرُهُ مَا حُكِيَ عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ فَقَالَ: «لَمْ يُنْكِرِ ابْنُ مَسْعُودٍ كَوْنَهُمَا مِنَ الْقُرْآنِ، وَإِنَّمَا أَنْكَرَ إِثْبَاتَهُمَا فِي الْـمُصْحَفِ؛ فَإِنَّهُ كَانَ يَرَى أَنْ لَا يَكْتُبَ فِي الْـمُصْحَفِ شَيْئًا إِلَّا إِنْ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ أَذِنَ فِي كِتَابَتِهِ فِيهِ، وَكَأَنَّهُ لَمْ يَبْلُغْهُ الْإِذْنُ فِي ذَلِكَ»، قَالَ: «فَهَذَا تَأْوِيلٌ مِنْهُ وَلَيْسَ جَحْدًا لِكَوْنِهِمَا قُرْآنًا، وَهُوَ تَأْوِيلٌ حَسَنٌ، إِلَّا أَنَّ الرِّوَايَةَ الصَّحِيحَةَ الصَّرِيحَةَ الَّتِي ذَكَرْتُهَا تَدْفَعُ

(١) «تَفْسِيرُ الْقُرْطُبِيِّ» (٢٠/ ٢٥١).

ذَلِكَ، حَيْثُ جَاءَ فِيهَا وَيَقُولُ إِنَّهُمَا لَيْسَتَا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ، نَعَمْ يُمْكِنُ حَمْلُ لَفْظِ كِتَابِ اللَّهِ عَلَى الْمُصْحَفِ، فَيَتَمَشَّى التَّأْوِيلُ الْمَذْكُورُ»، وَقَالَ غَيْرُ الْقَاضِي: «لَمْ يَكُنِ اخْتِلَافُ ابْنِ مَسْعُودٍ مَعَ غَيْرِهِ فِي قُرْآنِيَّتِهِمَا، وَإِنَّمَا كَانَ فِي صِفَةٍ مِنْ صِفَاتِهِمَا» انْتَهَى.

وَغَايَةُ مَا فِي هَذَا: أَنَّهُ أَبْهَمَ مَا بَيَّنَهُ الْقَاضِيُّ، وَمَنْ تَأَمَّلَ سِيَاقَ الطُّرُقِ الَّتِي أَوْرَدْتُهَا لِلْحَدِيثِ اسْتَبْعَدَ هَذَا الْجَمْعَ[1].

وَقَدْ قَالَ ابْنُ الصَّبَّاغِ فِي الْكَلَامِ عَلَى مَانِعِي الزَّكَاةِ: «وَإِنَّمَا قَاتَلَهُمْ أَبُو بَكْرٍ عَلَى مَنْعِ الزَّكَاةِ وَلَمْ يَقُلْ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِذَلِكَ، وَإِنَّمَا لَمْ يَكْفُرُوا؛ لِأَنَّ الْإِجْمَاعَ لَمْ يَكُنِ اسْتَقَرَّ»، قَالَ: «وَنَحْنُ الْآنَ نُكَفِّرُ مَنْ جَحَدَهَا»، قَالَ: «وَكَذَلِكَ مَا نُقِلَ عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ فِي الْمُعَوِّذَتَيْنِ» يَعْنِي: أَنَّهُ لَمْ يَثْبُتْ عِنْدَهُ الْقَطْعُ بِذَلِكَ، ثُمَّ حَصَلَ الِاتِّفَاقُ بَعْدَ ذَلِكَ، وَقَدِ اسْتَشْكَلَ هَذَا الْمَوْضِعَ الْفَخْرُ، فَقَالَ: «إِنْ قُلْنَا إِنَّ كَوْنَهُمَا مِنَ الْقُرْآنِ كَانَ مُتَوَاتِرًا فِي عَصْرِ ابْنِ مَسْعُودٍ لَزِمَ تَكْفِيرُ مَنْ أَنْكَرَهُمَا، وَإِنْ قُلْنَا إِنَّ كَوْنَهُمَا مِنَ الْقُرْآنِ كَانَ لَمْ يَتَوَاتَرْ فِي عَصْرِ ابْنِ مَسْعُودٍ لَزِمَ أَنَّ بَعْضَ الْقُرْآنِ لَمْ يَتَوَاتَرْ»، قَالَ: «وَهَذِهِ عُقْدَةٌ صَعْبَةٌ، وَأُجِيبَ بِاحْتِمَالِ أَنَّهُ كَانَ مُتَوَاتِرًا فِي عَصْرِ ابْنِ مَسْعُودٍ، لَكِنْ لَمْ يَتَوَاتَرْ عِنْدَ ابْنِ مَسْعُودٍ؛ فَانْحَلَّتِ الْعُقْدَةُ بِعَوْنِ اللَّهِ تَعَالَى»[2].

---

(١) «فَتحُ الْبَارِي لابْنِ حَجَرٍ» (٨/ ٧٤٣).

(٢) «فَتحُ الْبَارِي لابْنِ حَجَرٍ» (٨/ ٧٤٣).

وَقَالَ ابْنُ حَجَرٍ: وفِي الْإِجْمَاعِ عَلَى كَوْنِهِمَا مِنَ الْقُرْآنِ غُنْيَةً عَنْ تَكَلُّفِ الْأَسَانِيدِ بِأَخْبَارِ الْآحَادِ، وَاللَّهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- أَعْلَمُ بِالصَّوَابِ[1].

وَالرَّاجِحُ هُوَ رُجُوعُ اِبْنِ مَسْعُودٍ عَنْ هَذَا القَوْلِ، وَيَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ اَلْآتِي:

أَوَّلاً: أَنَّ عَاصِمًا وَهُوَ أَحَدُ القُرَّاءِ السَّبْعَةِ قَرَأَ القُرْآنَ كُلَّهُ وَفِيهِ الْمُعَوِّذَتَانِ بِأَسَانِيدَ صَحِيحَةٍ بَعْضُهَا يَرْجِعُ إِلَى اِبْنِ مَسْعُودٍ نَفْسِهِ، ذَلِكَ أَنَّ عَاصِمًا قَرَأَ عَلَى أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حَبِيبٍ، وَقَرَأَ عَلَى أَبِي مَرْيَمَ زِرِ بْنِ حُبَيْشٍ الأَسَدِيِّ، وَعَلَى سَعِيدِ بْنِ عَيَّاشٍ الشَّيْبَانِيِّ، وَقَرَأَ هَؤُلَاءِ عَلَى اِبْنِ مَسْعُودٍ نَفْسِهِ، وَقَرَأَ اِبْنُ مَسْعُودٍ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ.

ثَانِيًا: أَنَّ حَمْزَةَ وَهُوَ مِنَ القُرَّاءِ السَّبْعَةِ أَيْضًا قَرَأَ القُرْآنَ كُلَّهُ بِأَسَانِيدِهِ الصَّحِيحَةِ وَفِيهِ الْمُعَوِّذَتَانِ عَنِ اِبْنِ مَسْعُودٍ نَفْسِهِ. ذَلِكَ أَنَّ حَمْزَةَ قَرَأَ عَلَى الأَعْمَشِ أَبِي مُحَمَّدٍ سُلَيْمَانَ بْنِ مَهْرَانَ، وَقَرَأَ الأَعْمَشُ عَلَى يَحْيَى بْنِ وَثَّابٍ، وَقَرَأَ يَحْيَى عَلَى عَلْقَمَةَ الأَسْوَدِ، وَعُبَيْدِ بْنِ نَضْلَةَ الخُزَاعِيِّ، وَزِرِ بْنِ حُبَيْشٍ، وَأَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ السِّلْمِيِّ، وَهُمْ قَرَؤُوا عَلَى اِبْنِ مَسْعُودٍ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ. وَلِحَمْزَةَ سَنَدٌ آخَرُ بِهَذِهِ القِرَاءَةِ إِلَى اِبْنِ مَسْعُودٍ أَيْضًا. ذَلِكَ أَنَّهُ قَرَأَ عَلَى أَبِي إِسْحَاقَ السَّبِيعِيِّ، وَعَلِى مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِيِّ لَيْلَى، وَعَلَى الإِمَامِ جَعْفَرِ الصَّادِقِ، وَهَؤُلَاءِ قَرَؤُوا عَلَى عَلْقَمَةَ بْنِ قَيْسٍ، وَعَلَى زِرِ بْنِ حُبَيْشٍ، وَعَلَى زَيْدِ بْنِ وَهَبٍ، وَعَلَى مَسْرُوقٍ، وَهُمْ قَرَؤُوا عَلَى

---

(١) «فَتحُ الْبَارِي لابْنِ حَجرٍ» (٨/ ٧٤٢).

المِنْهَالِ وَغَيْرِهِ، وَهُمْ عَلَى اِبْنِ مَسْعُودٍ وَأَمِيرِ المُؤْمِنِينَ عَلِيٍّ كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ وَهُمَا عَلَى النَّبِيِّ ﷺ.

ثَالِثًا: أَنَّ الكِسَائِيَّ قَرَأَ القُرْآنَ وَفِيهِ المُعَوِّذَتَانِ بِسَنَدِهِ إِلَى اِبْنِ مَسْعُودٍ أَيْضًا. ذَلِكَ أَنَّهُ قَرَأَ عَلَى حَمْزَةَ الذِي اِنْتَهَى بَيْنَ يَدَيْكَ سَنَدُهُ إِلَى اِبْنِ مَسْعُودٍ مِنْ طَرِيقَيْنِ.

رَابِعًا: أَنَّ خَلَفًا يَقْرَأُ المُعَوِّذَتَيْنِ فِي ضِمْنِ القُرْآنِ الكَرِيمِ بِسَنَدِهِ إِلَى اِبْنِ مَسْعُودٍ أَيْضًا وَذَلِكَ أَنَّهُ قَرَأَ عَلَى سَلِيمٍ وَهُوَ عَلَى حَمْزَةَ. وَهَذِهِ القِرَاءَاتُ كُلُّهَا التِي رُوِيَتْ بِأَصَحِّ الأَسَانِيدِ وَبِإِجْمَاعِ الأُمَّةِ فِيهَا المُعَوِّذَتَانِ وَالْفَاتِحَةُ عَلَى اِعْتِبَارِ أَنَّ هَذِهِ السُّورَ الثَّلَاثَ أَجْزَاءٌ مِنَ القُرْآنِ وَدَاخِلَةٌ فِيهِ. فَالْقَوْلُ بِبَقَاءِ اِبْنِ مَسْعُودٍ عَلَى إِنْكَارِ قُرْآنِيَّةِ هَذِهِ السُّورَةِ مَحْضُ اِفْتِرَاءٍ عَلَيْهِ. كَمَا سُقْنَاهُ بَيْنَ يَدَيْكَ عَنْ أَرْبَعَةٍ مِنَ القُرَّاءِ السَّبْعَةِ بِأَسَانِيدَ هِيَ مِنْ أَصَحِّ الأَسَانِيدِ المُؤَيِّدَةِ بِمَا تَوَاتَرَ وَاسْتَفَاضَ، وَبِمَا أَجْمَعَتِ الأُمَّةُ عَلَيْهِ مِنْ قُرْآنِيَّةِ الفَاتِحَةِ وَالْمُعَوِّذَتَيْنِ مُنْذُ عَهْدِ الخِلَافَةِ الرَّاشِدَةِ إِلَى يَوْمِ النَّاسِ هَذَا، إِذًا فَلْيُحْمَلْ هَذَا الإِنْكَارُ عَلَى أُولَى حَالَاتِ اِبْنِ مَسْعُودٍ جَمْعًا بَيْنَ الرِّوَايَتَيْنِ[1].

سَبَبُ نُزُولِ هَذِهِ السُّورَةِ: -

سَحَرَ لَبِيدُ بْنُ الأَعْصَمِ اليَهُودِيُّ الرَّسُولَ ﷺ فَنَزَلَتْ هَذِهِ السُّورَةُ، وَالدَّلِيلُ عَلَى ذَلِكَ حَدِيثَانِ: -

(١) «مَوْسُوعَةُ مَحَاسِنِ الإِسْلَامِ وَرَدُّ شُبُهَاتِ اللِّئَامِ» (٥/ ١٢٩).

۞ **عَنْ عَائِشَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ:** سَحَرَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ رَجُلٌ مِنْ بَنِي زُرَيْقٍ، يُقَالُ لَهُ لَبِيدُ بْنُ الأَعْصَمِ، حَتَّى كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ أَنَّهُ كَانَ يَفْعَلُ الشَّيْءَ وَمَا فَعَلَهُ، حَتَّى إِذَا كَانَ ذَاتَ يَوْمٍ أَوْ ذَاتَ لَيْلَةٍ وَهُوَ عِنْدِي، لَكِنَّهُ دَعَا وَدَعَا، ثُمَّ قَالَ: « يَا عَائِشَةُ، أَشَعَرْتِ أَنَّ اللهَ أَفْتَانِي فِيمَا اسْتَفْتَيْتُهُ فِيهِ، أَتَانِي رَجُلَانِ، فَقَعَدَ أَحَدُهُمَا عِنْدَ رَأْسِي، وَالآخَرُ عِنْدَ رِجْلَيَّ، فَقَالَ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ: مَا وَجَعُ الرَّجُلِ؟ فَقَالَ: مَطْبُوبٌ، قَالَ: مَنْ طَبَّهُ؟ قَالَ: لَبِيدُ بْنُ الأَعْصَمِ، قَالَ: فِي أَيِّ شَيْءٍ؟ قَالَ: فِي مُشْطٍ وَمُشَاطَةٍ، وَجُفِّ طَلْعِ نَخْلَةٍ ذَكَرٍ. قَالَ: وَأَيْنَ هُوَ؟ قَالَ: فِي بِئْرِ ذَرْوَانَ » فَأَتَاهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي نَاسٍ مِنْ أَصْحَابِهِ، فَجَاءَ فَقَالَ: «يَا عَائِشَةُ، كَأَنَّ مَاءَهَا نُقَاعَةُ الحِنَّاءِ، أَوْ كَأَنَّ رُءُوسَ نَخْلِهَا رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ» قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ: أَفَلَا اسْتَخْرَجْتَهُ؟ قَالَ: «قَدْ عَافَانِي اللَّهُ، فَكَرِهْتُ أَنْ أُثَوِّرَ عَلَى النَّاسِ فِيهِ شَرًّا» فَأَمَرَ بِهَا فَدُفِنَتْ.

وَفِي رِوَايَةٍ «فِي مُشْطٍ وَمُشَاقَةٍ» يُقَالُ: الْمُشَاطَةُ: مَا يَخْرُجُ مِنَ الشَّعَرِ إِذَا مُشِطَ، وَالْمُشَاقَةُ: مِنْ مُشَاقَةِ الكَتَّانِ(١). وَالْمُشْطُ هُوَ الآلَةُ التِي يُسَرَّحُ بِهَا الشَّعْرُ وَالرَّأْسُ.

۞ **وَعَنْ زَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ قَالَ:** سَحَرَ النَّبِيَّ ﷺ رَجُلٌ مِنَ الْيَهُودِ. قَالَ: فَاشْتَكَى، فَأَتَاهُ جِبْرِيلُ، فَنَزَلَ عَلَيْهِ بِالْمُعَوِّذَتَيْنِ، وَقَالَ: «إِنَّ رَجُلًا مِنَ الْيَهُودِ سَحَرَكَ، وَالسِّحْرُ فِي بِئْرِ فُلَانٍ». قَالَ: فَأَرْسَلَ عَلِيًّا فَجَاءَ بِهِ، قَالَ:

---

(١) «صَحِيحُ الْبُخَارِيِّ» (٧/ ١٣٦).

فَأَمَرَهُ أَنْ يَحُلَّ الْعُقَدَ «وَتَقْرَأَ» آيَةً، فَجَعَلَ يَقْرَأُ وَيَحُلُّ، حَتَّى قَامَ النَّبِيُّ ﷺ كَأَنَّمَا أُنْشِطَ مِنْ عِقَالٍ. قَالَ: فَمَا ذَكَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِذَلِكَ الْيَهُودِيِّ شَيْئًا مِمَّا صَنَعَ بِهِ. قَالَ: وَلَا أَرَاهُ فِي وَجْهِهِ[١].

(١) «الْمُنْتَخَبُ مِنْ مَسْنَدِ عَبْدِ بْنِ حُمَيْدٍ ت مُصْطَفَى الْعَدَوِيّ» (١/ ٢٢٨).

مَسْأَلَةُ سِحْرِ النَّبِيِّ ﷺ:

أَنْكَرَتِ المُعْتَزِلَةُ سِحْرَ النَّبِيِّ ﷺ. وَبِالْجُمْلَةِ؛ فَاللَّهُ تَعَالَى مَا كَانَ لِيُسَلِّطَ عَلَيْهِ شَيْطَانًا وَلَا إِنْسِيًّا وَلَا جِنِّيًّا يُؤْذِيهِ فِي دِينِهِ وَشَرْعِهِ وَنُبُوَّتِهِ، فَأَمَّا فِي الْإِضْرَارِ بِبَدَنِهِ؛ فَلَا يَبْعُدُ(١).

وَقَدِ اتَّفَقَ الشَّيْخَانُ عَلَى تَصْحِيحِ هَذَا الحَدِيثِ، ولَمْ يَتَكَلَّمْ فِيهِ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ الحَدِيثِ بِكَلِمَةٍ وَاحِدَةٍ، والقِصَّةُ مَشْهُورَةٌ عِنْدَ أَهْلِ التَّفْسِيرِ وَالسُّنَنِ والحَدِيثِ والتَّارِيخِ والفُقَهَاءِ، وهَؤُلَاءِ أَعْلَمُ بِأَحْوَالِ رَسُولِ اللهِ ﷺ وأَيَّامِهِ مِنَ المُتَكَلِّمِينَ(٢).

وَالسِّحْرُ الَّذِي أَصَابَهُ ﷺ كَانَ مَرَضًا مِنَ الأَمْرَاضِ عَارِضًا شَفَاهُ اللهُ مِنْهُ، وَلَا نَقْصَ فِي ذَلِكَ وَلَا عَيْبَ بِوَجْهٍ مَا؛ فَإِنَّ المَرَضَ يَجُوزُ عَلَى الأَنْبِيَاءِ، وكَذَلِكَ الإِغْمَاءُ؛ فَقَدْ أُغْمِيَ عَلَيْهِ ﷺ فِي مَرَضِهِ، وَوَقَعَ حِينَ انْفَكَّتْ قَدَمُهُ، وجُحِشَ شِقُّهُ، وهَذَا مِنَ البَلَاءِ الَّذِي يُزِيدُهُ اللهُ بِهِ رِفْعَةً فِي دَرَجَاتِهِ وَنَيْلِ كَرَامَتِهِ، وأَشَدُّ النَّاسِ بَلَاءً الأَنْبِيَاءُ، فَابْتُلُوا مِنْ أُمَمِهِم بِمَا ابْتُلُوا بِهِ مِنَ: القَتْلِ وَالضَّرْبِ والشَّتْمِ والحَبْسِ، فَلَيْسَ بِبِدْعٍ أَنْ يُبْتَلَى النَّبِيُّ ﷺ مِنْ بَعْضِ أَعْدَائِهِ بِنَوعٍ مِنَ السِّحْرِ، كَمَا ابْتُلِيَ بِالَّذِي رَمَاهُ فَشَجَّهُ، وابْتُلِيَ بِالَّذِي أَلْقَى عَلَى ظَهْرِهِ السَّلَى -وهُو سَاجِدٌ- وغَيْرِ ذَلِكَ، فَلَا نَقْصَ عَلَيهِمْ -أَيِ الأَنْبِيَاءَ- ولَا عَارَ فِي ذَلِكَ، بَلْ هَذَا مِنْ كَمَالِهِم وعُلُوِّ دَرَجَاتِهِم عِنْدَ اللهِ.

---

(١) «مَفَاتِيحُ الغَيْبِ أَوْ التَّفْسِيرُ الْكَبِيرُ» (٣٢/ ٣٦٨).

(٢) «بَدَائِعُ الْفَوَائِدِ ط عَالَمُ الْفَوَائِدِ» (٢/ ٧٤٠).

۞ **وَقَالَ الْقَاضِيُّ عِيَاضٍ:** اعْلَمْ وَفَقَنَا اللَّهُ وَإِيَّاكَ أَنَّ هَذَا الْحَدِيثَ صَحِيحٌ مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ وَقَدْ طَعَنَتْ فِيهِ الْمَلَاحِدَةُ وَتَدَرَّعَتْ بِهِ لِسُخْفِ عُقُولِهَا وتَلْبِيسِهَا عَلَى أَمْثَالِهَا إِلَى التَّشْكِيكِ فِي الشَّرْعِ وَقَدْ نَزَّهَ اللَّهُ الشَّرْعَ وَالنَّبِيَّ عَمَّا يُدْخِلُ فِي أَمْرِهِ لَبْسًا وَإِنَّمَا السَّحْرُ مَرَضٌ مِنَ الأَمْرَاضِ وَعَارِضٌ مِنَ العِلَلِ يَجُوزُ عَلَيْهِ كَأَنْوَاعِ الأَمْرَاضِ مِمَّا لَا يُنكَرُ وَلَا يَقْدَحُ فِي نُبُوَّتِهِ، وَأَمَّا مَا وَرَدَ أَنَّهُ كَانَ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ أَنَّهُ فَعَلَ الشَّيْءَ وَلَا يَفْعَلُهُ فَلَيْسَ فِي هَذَا مَا يُدْخِلُ عَلَيْهِ دَاخِلَةٌ فِي شَيْءٍ مِنْ تَبْلِيغِهِ أَو شَرِيعَتِهِ أَو يَقْدَحُ فِي صِدْقِهِ لِقِيَامِ الدَّلِيلِ وَالإِجْمَاعِ عَلَى عِصْمَتِهِ مِنْ هَذَا وَإِنَّمَا هَذَا فِيمَا يَجُوزُ طُرُوُّهُ عَلَيْهِ فِي أَمْرِ دُنْيَاهُ الَّتِي لَمْ يُبْعَثْ بِسَبَبِهَا وَلَا فُضِّلَ مِنْ أَجْلِهَا وَهُوَ فِيهَا عُرْضَةٌ لِلآفَاتِ كَسَائِرِ البَشَرِ فَغَيْرُ بَعِيدٍ أَنْ يُخَيَّلَ إِلَيْهِ مِنْ أُمُورِهَا مَا لَا حَقِيقَةَ لَهُ ثُمَّ يَنْجَلِي عَنْهُ كَمَا كَانَ، وَأَيْضًا فَقَدْ فَسَّرَ هَذَا الفَصْلَ الحَدِيثُ الآخَرُ مِنْ قَوْلِهِ (حَتَّى يُخَيَلَ إِلَيْهِ أَنَّهُ يَأْتِي أَهْلَهُ وَلَا يَأْتِيهِنَّ) وَقَدْ قَالَ سُفْيَانُ: هَذَا أَشَدُّ مَا يَكُونُ مِنَ السِّحْرِ وَلَمْ يَأْتِ فِي خَبَرٍ أَنَّهُ نُقِلَ عَنْهُ فِي ذَلِكَ قَوْلٌ بِخِلَافِ مَا كَانَ أَخْبَرَ أَنَّهُ فَعَلَهُ وَلَمْ يَفْعَلْهُ وَإِنَّمَا كَانَتْ خَوَاطِرَ وَتَخَيُّلَاتٍ[1].

📖 **عِبَرٌ وَفَوَائِدُ فِي وُقُوعُ السِّحْرِ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِيهِ:**

أَوَّلُهَا: إِثْبَاتُ نَبُوَتِهِ وَهَذَا مِنْ وَجْهَيْنِ: -

* **أَحَدُهُمَا:** بِمَا أَعْلَمَهُ بِالْوَحْي أَنَّهُ سِحْرٌ، وَذَلِكَ فِعْلٌ فَعَلُوهُ سِرًّا مِنْهُ،

---

(١) «الشِّفَا بِتَعْرِيفِ حُقُوقِ الْمُصْطَفَى - وَحَاشِيَةُ الشُّمُنِّي» (٢/ ١٨١).

وَلَا وُقُوفَ لِأَحَدٍ عَلَى الغَيْبِ إِلَّا بِالْوَحْيِ.

* **وَالثَّانِي**: بِمَا أُبْطِلَ عَمَلُ السِّحْرِ بِتِلَاوَةِ القُرْآنِ؛ فَيَصِيرُ لِتِلَاوَتِهِ فِي إِبْطَالِ عَمَلِ السِّحْرِ مَا لِعَصَا مُوسَى - عَلَيْهِ السَّلَامُ - وَأَنَّ هَذَا فِي كَوْنِهِ آيَةً أَعْظَمُ مِمَّا فَعَلَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ؛ لِأَنَّ ذَلِكَ يَتَنَوَّعُ بِتَنَوُّعِ مَا لَهُ الفِعْلُ وَالْعَمَلُ مِنْ حَيْثُ الجَوْهَرُ وَالطَّبْعُ مِنْ حَيْثُ مَرْأَى العَيْنِ؛ فَإِنَّهُ ثُعْبَانٌ يَلْقَفُ مَا صَنَعُوا. فَأَمَّا إِبْطَالُ السِّحْرِ وَعَمَلِهِ بِتِلَاوَةِ القُرْآنِ لَا يَكُونُ إِلَّا بِاللُّطْفِ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى، وَاللَّهُ أَعْلَمُ[1].

* **ثَانِيهَا**: كَوْنُهُ بَشَرًا ﷺ، يُصِيبُهُ مَا يُصِيبُ البَشَرَ، وَهَذَا رَدٌّ لِمَنْ رَفَعَهُ فَوْقَ مَنْزِلَتِهِ، فَظَنَّ أَنَّ لَهُ بَعْضَ خَصَائِصِ الإِلَهِيَّةِ.

* **ثَالِثُهَا**: تَحْقِيقُ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ﴾.

* **الرَّابِعُ**: دِلَالَةٌ عَلَى وُقُوعِ الابْتِلَاءِ لِلصَّالِحِينَ، وَلَيْسَ مَعْنَى كَوْنِكَ صَالِحًا سَلَامَتُكَ مِنَ الابْتِلَاءَاتِ.

* **الخَامِسُ**: وُجُوبُ إِحْسَانِ الظَّنِّ بِمَنْ وَقَعَ فِي البَلَاءِ، فَلَا يُشْتَرَطُ أَنْ يَكُونَ كُلُّ بَلَاءٍ بِسَبَبِ ذَنْبٍ.

* **السَّادِسُ**: اللُّجُوءُ إِلَى اللَّهِ بِالدُّعَاءِ وَأَعْظَمُهُ الْمُعَوِّذَاتُ عِنْدَ وُقُوعِ البَلَاءِ.

(١) «تَفْسِيرُ الْمَاتُرِيدِيِّ = تَأْوِيلَاتُ أَهْلِ السُّنَّةِ» (١٠/ ٦٥٤).

* **السَّابِعُ**: يَجُوزُ لِلْإِنْسَانِ أَنْ يَعْفُوَ عَمَّنْ ظَلَمَهُ، وَإِنْ كَانَ كَافِرًا، وَيُسْتَحَبُّ ذَلِكَ إِذَا كَانَ الِانْتِصَارُ وَأَخْذُ الحَقِّ سَيُسَبِّبُ شَرًّا، فَقَدْ تَرَكَ النَّبِيُّ مُعَاقَبَةَ اليَهُودِيِّ لِكَيْ لَا يُثِيرَ عَلَى النَّاسِ شَرًّا.

* **الثَّامِنُ**: خَطَرُ اليَهُودِ عَلَى الْمُجْتَمَعِ عُمُومًا، وَعَلَى الصَّالِحِينَ خُصُوصًا، فَمَنْ سَحَرَ النَّبِيَّ ﷺ يَهُودِيٌّ، وَمَنْ وَضَعَ لَهُ السُّمَّ فِي الشَّاةِ يَهُودِيَّةٌ.

* **التَّاسِعُ**: وُقُوعُ السِّحْرِ لِلرَّسُولِ ﷺ لَمْ يُؤَثِّرْ عَلَى نُبُوَّتِهِ، بَلْ كَانَ يُخَيَّلُ لَهُ أَنْ أَتَى نِسَاءَهُ.

* **الْعَاشِرُ**: أَنَّ السِّحْرَ لَهُ حَقِيقَةٌ وَتَأْثِيرٌ عَلَى الْبَدَنِ، وَلَيْسَ كُلُّهُ تَخَيُّلَاتٍ، كَمَا قَالَ اللَّهُ: ﴿يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ﴾، فَهَذَا نَوْعٌ مِنْ أَنْوَاعِ السِّحْرِ لَا كُلَّ السِّحْرِ، وَلَقَدْ قَالَ اللَّهُ -أَيْضًا- عَنِ السِّحْرِ ﴿فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ﴾.

هَلِ السُّورَةُ مَكِّيَّةٌ أَوْ مَدَنِيَّةٌ؟

* **الْقَوْلُ الْأَوَّلُ**: مَكِّيَّةٌ فِي قَوْلِ الْحَسَنِ وَعِكْرِمَةَ وَعَطَاءٍ وَجَابِرٍ.

* **الْقَوْلُ الثَّانِي**: مَدَنِيَّةٌ فِي أَحَدِ قَوْلَي ابْنِ عَبَّاسٍ وَقَتَادَةَ[١].

وَالْأَظْهَرُ أَنَّهَا مَدَنِيَّةٌ لِصِحَّةِ سَبَبِ النُّزُولِ.

---

(١) «تفسير الماوردي = النكت والعيون» (٦/ ٣٧٣) «تفسير القرطبي» (٢٠/ ٢٥١).

📖 تَرْتِيبُ النُّزُولِ:

وَعُدَّتِ الْعِشْرِينَ فِي عِدَادِ نُزُولِ السُّوَرِ، نَزَلَتْ بَعْدَ سُورَةِ الْفِيلِ وَقَبْلَ سُورَةِ النَّاسِ[1].

📖 فَضِيلَةُ الْمُعَوِّذَتَيْنِ وَمَا وَرَدَ فِيهِمَا مِنْ أَحَادِيثَ:

۞ عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَلَمْ تَرَ آيَاتٍ أُنْزِلَتِ اللَّيْلَةَ لَمْ يُرَ مِثْلُهُنَّ قَطُّ: قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ، وَقُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ»[2].

۞ وَعَنْ عُقْبَةَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ لَهُ: «أَلَا أُخْبِرُكَ بِأَفْضَلِ مَا تَعَوَّذَ بِهِ الْمُتَعَوِّذُونَ؟» قُلْتُ: بَلَى، قَالَ: قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ، وَقُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ»[3].

۞ وَعَنْ مُعَاذِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ خُبَيْبٍ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: خَرَجْنَا فِي لَيْلَةٍ مَطِيرَةٍ وَظُلْمَةٍ شَدِيدَةٍ نَطْلُبُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يُصَلِّي لَنَا، قَالَ: فَأَدْرَكْتُهُ، فَقَالَ: قُلْ فَلَمْ أَقُلْ شَيْئًا، ثُمَّ قَالَ: قُلْ، فَلَمْ أَقُلْ شَيْئًا، قَالَ: قُلْ، فَقُلْتُ، مَا أَقُولُ؟ قَالَ: قُلْ: قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ، وَالْمُعَوِّذَتَيْنِ حِينَ تُمْسِي وَتُصْبِحُ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ تَكْفِيكَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ[4].

---

(١) «التحرير والتنوير» (٣٠/ ٦٢٤) «تفسير ابن جزي = التسهيل لعلوم التنزيل» (٢/ ٥٢٦).

(٢) «صَحِيحُ مُسْلِمٍ» (١/ ٥٥٨).

(٣) «مُسْنَدُ أَحْمَدَ» (٢٨/ ٥٣٠).

(٤) «سُنَنُ التِّرْمِذِيِّ» (٥/ ٤٥٩).

۞ **وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ:** كَانَ رَسُولُ الله ﷺ يَتَعَوَّذُ مِنَ الجَانِّ وَعَيْنِ الإِنْسَانِ حَتَّى نَزَلَتِ الْمُعَوِّذَتَانِ فَلَمَّا نَزَلَتَا أَخَذَ بِهِمَا وَتَرَكَ مَا سِوَاهُمَا[1].

۞ **وَعَنْ عَائِشَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ:** «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا أَوَى إِلَى فِرَاشِهِ، نَفَثَ فِي كَفَّيْهِ بِقُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ وَبِالْمُعَوِّذَتَيْنِ جَمِيعًا، ثُمَّ يَمْسَحُ بِهِمَا وَجْهَهُ، وَمَا بَلَغَتْ يَدَاهُ مِنْ جَسَدِهِ» قَالَتْ عَائِشَةُ: «فَلَمَّا اشْتَكَى كَانَ يَأْمُرُنِي أَنْ أَفْعَلَ ذَلِكَ بِهِ» قَالَ يُونُسُ: كُنْتُ أَرَى ابْنَ شِهَابٍ يَصْنَعُ ذَلِكَ إِذَا أَتَى إِلَى فِرَاشِهِ[2].

۞ **وَقَالَ ابْنُ القَيِّمِ:** وَالصَّوابُ أَنَّ عَائِشَةَ كَانَتْ تَفْعَلُ ذَلِكَ، وَالنَّبِيُّ ﷺ لَمْ يَأْمُرْهَا وَلَمْ يَمْنَعْهَا مِنْ ذَلِكَ، وأَمَّا أَنْ يَكُونَ اسْتَرْقَى وَطَلَبَ مِنْهَا أَنْ تَرْقِيَهِ فَلَا.[3] ولَكِنَّ لَفْظَ الصَّحِيحَيْنِ خِلافُ ذَلِكَ، (كَانَ النَّبِيُّ يَأْمُرُ عَائِشَةَ بِذَلِكَ).

وَاللَّهُ بِرَحْمَتِهِ وَفَضْلِهِ هُوَ الَّذِي أَرْشَدَ رَسُولَهُ ﷺ وَأُمَّتَهُ مِنْ وَرَائِهِ إِلَى الِاسْتِعَاذَةِ بِهِ مِنْ هَذِهِ الشُّرُورِ. وَالظَّنُّ فِيهِ أَنَّ العِبَادَ مَتَى اِسْتَعَاذُوا بِهِ - وَفْقَ تَوْجِيهِهِ - أَعَاذَهُمْ، وَحَمَاهُمْ مِنْ هَذِهِ الشُّرُورِ إِجْمَالاً وَتَفْصِيلاً.

---

(١) قَالَ التِّرْمِذِيُّ: وَفِي البَابِ عَنْ أَنَسٍ. وَهَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ. «سُنَنُ التِّرْمِذِيِّ» (٣/ ٤٦٣).

(٢) «صَحِيحُ الْبُخَارِيِّ» (٧/ ١٣٣) «صَحِيحُ مُسْلِمٍ» (٤/ ١٧٢٣).

(٣) «بَدَائِعُ الْفَوَائِدِ» (٢/ ٧٠١).

🕮 أَغْرَاضُ السُّورَةِ:

۞ **قَالَ الْقُشَيْرِيُّ:** فِي هَذِهِ السُّورَةِ تَعْلِيمُ اسْتِدْفَاعِ الشُّرُورِ مِنَ اللَّهِ. بالِالْتِجَاءِ إِلَيْهِ والِاسْتِعَاذَةِ بِهِ مِنْ كُلِّ شَرٍّ[١].

۞ **وَقَالَ ابْنُ عَطِيَّةَ:** قَالَ بَعْضُ الحُذَّاقِ: هَذِهِ السُّورَةُ خَمْسُ آيَاتٍ، وهِيَ مُرَادُ النَّاسِ بِقَولِهِمْ لِلْحَاسِدِ الَّذِي يُخَافُ مِنْ عَيْنِهِ: الخَمْسَةُ عَلَى عَيْنِكَ، وَقَدْ غَلِطَتْ الْعَامَّةُ فِي هَذَا فَيُشِيرُونَ فِي ذَلِكَ بِالْأَصَابِعِ لِكَوْنِهَا خَمْسَةً[٢].

۞ **وَقَالَ الْبِقَاعِيُّ:** مَقْصُودُ سُورَةِ الْفَلَقِ الِاعْتِصَامُ مِنْ شَرِّ كُلِّ مَا انْفَلَقَ عَنْهُ الْخُلُقُ الظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ، وَاسْمُهَا ظَاهِرُ الدَّلَالَةِ عَلَى ذَلِكَ[٣].

۞ **وَقَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ:** سُورَةُ الْفَلَقِ مِنْ أَكْبَرِ أَدْوِيَةِ المَحْسُودِ؛ فَإِنَّهَا تَتَضَمَّنُ التَّوكُّلَ عَلَى اللهِ والِالْتِجَاءَ إِلَيْهِ والِاسْتِعَاذَةَ بِهِ مِنْ شَرِّ حَاسِدِ النِّعْمَةِ؛ فَهُو مُسْتَعِيذٌ بِولِيِّ النِّعَمِ ومُولِيهَا مِنْ شَرِّ لِصِّهَا وعَدُوِّهَا؛ كَأَنَّهُ يَقُولُ: يَا مَنْ أَوْلَانِي نِعْمَتَهُ وأَسْدَاهَا إِلَيَّ، أَنَا عَائِذٌ بِكَ مِنْ شَرِّ مَنْ يُرِيدُ أَنْ يَسْتَلِبَهَا مِنِّي ويُزِيلَهَا عَنِّي، فَلَا يُعِيذُنِي مِنْهُ سِوَاكَ، فَهُوَ مُسْتَجِيرٌ بِمَنْ أَنْعَمَ عَلَيهِ مِنْ عَدوِّ نِعْمَتِهِ، وَاللهُ تعالى يُجِيرُ ولَا يُجَارُ عَلَيهِ[٤].

---

(١) «لَطَائِفُ الإِشَارَاتِ = تَفْسِيرُ الْقُشَيْرِي» (٣/ ٧٨٦).

(٢) «الْـمُحَرَّرُ الْوَجِيزُ» (٥/ ٥٣٩).

(٣) «نَظْمُ الدُّرَرِ» (٢٢/ ٤٠٦).

(٤) «بَدَائِعُ الْفَوَائِدِ» (٢/ ٧٦٣).

۞ **وَقَالَ الْأُسْتَاذُ سَيِّدُ قُطْبُ**: هَذِهِ السُّورَةُ وَالَّتِي بَعْدَهَا تَوْجِيهٌ مِنَ اللَّهِ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - لِنَبِيِّهِ ﷺ ابْتِدَاءً وَلِلْمُؤْمِنِينَ مِنْ بَعْدِهِ جَمِيعًا، لِلْعِيَاذِ بِكَنَفِهِ، وَاللِّيَاذِ بِحِمَاهُ، مِنْ كُلِّ مُخَوِّفٍ: خَافٍ وَظَاهِرٌ، مَجْهُولٌ وَمَعْلُومٌ، عَلَى وَجْهِ الْإِجْمَالِ وَعَلَى وَجْهِ التَّفْصِيلِ.. وَكَأَنَّمَا يَفْتَحُ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ لَهُمْ حِمَاهُ، وَيَبْسُطُ لَهُمْ كَنَفَهُ وَيَقُولُ لَهُمْ، فِي مَوَدَّةٍ وَعَطْفٍ: تَعَالَوْا إِلَى هُنَا. تَعَالَوْا إِلَى الْحِمَى. تَعَالَوْا إِلَى مَأْمَنِكُمُ الَّذِي تَطْمَئِنُونَ فِيهِ. تَعَالَوْا فَأَنَا أَعْلَمُ أَنَّكُمْ ضِعَافٌ وَأَنَّ لَكُمْ أَعْدَاءً وَأَنْ حَوْلَكُمْ مَخَاوِفَ وَهُنَا.. هُنَا الْأَمْنُ وَالطُّمَأْنِينَةُ وَالسَّلَامُ..

وَمِنْ ثَمَّ تَبْدَأُ كُلٌّ مِنْهُمَا بِهَذَا التَّوْجِيهِ. ﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلۡفَلَقِ﴾ [الفَلَق: ١]. ﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾ [الناس: ١] (١).

📖 **تَضَمَّنَتْ سُورَةُ الفَلَقِ الِاسْتِعَاذَةَ مِنْ أَرْبَعَةِ أُمُورٍ:**

* **أَحَدُهَا**: شَرُّ الـمَخْلُوقَاتِ الَّتِي لَهَا شَرٌّ عُمُومًا.
* **الثَّانِي**: شَرُّ الغَاسِقِ إِذَا وَقَبَ.
* **الثَّالِثُ**: شَرُّ النَّفَّاثَاتِ فِي العُقَدِ.
* **الرَّابِعُ**: شَرُّ الحَاسِدِ إِذَا حَسَدَ(٢).

---

(١) «فِي ظِلَالِ الْقُرْآنِ» (٦/ ١٠٦٠).

(٢) «بَدَائِعُ الْفَوَائِدِ» (٢/ ٧١٠).

﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلۡفَلَقِ﴾ [الفَلَق: ١]

يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ لِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ: قُلْ يَا مُحَمَّدُ: أَسْتَجِيرُ بِرَبِّ الْفَلَقِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ مِنَ الْخَلْقِ(١).

قُلْ لِكُلِّ مَن يَبْلُغُهُ القَوْلُ مِن جَمِيعِ الخَلائِقِ تَعْلِيمًا لَهُمْ وَأَمْرًا، فَإِنَّهُمْ كُلُّهُمْ مَرْبُوبُونَ مَقْهُورُونَ لا نَجاةَ لَهُمْ فِي شَيْءٍ مِنَ الضَّرَرِ إلّا بِعِصْمَتِهِ سُبْحانَهُ وتَعالى، فَعَلى كُلٍّ مِنهم أنْ يَفْزَعَ أوَّلَ ما تُصِيبُهُ المُصِيبَةُ إلى مَوْلاهُ القادِرِ عَلى كَشْفِها تَصْحِيحًا لِتَوَكُّلِهِ فَإنَّهُ يَرْتَقِي بِذَلِكَ إلى حالِ الرِّضا بِمُرِّ القَضاءِ، ولا يَأْخُذُ فِي الاعْتِمادِ عَلى جَلادَتِهِ وتَدْبِيرِهِ بِحَوْلِهِ وقُوَّتِهِ فَإنَّهُ يَشْتَدُّ أسَفُهُ ولا يَرُدُّ ذَلِكَ عَنْهُ شَيْئًا(٢).

إِشْكَالٌ وَجَوَابُهُ:

إِنْ قِيلَ أَلَيْسَ الْأَمْرُ مِنَ اللَّهِ ﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلۡفَلَقِ﴾ [الفَلَق: ١] وَمَعْلُومٌ أَنَّهُ إِذَا قِيلَ: «قُلِ الحَمْدُ للهِ»، و«قُلْ سُبْحَانَ اللهِ»؛ فَإِنَّ امْتِثَالَهُ أَنْ يَقُولَ: «الحَمْدُ للهِ، وسُبْحَانَ اللهِ»، وَلَا يَقُولُ: «قُلْ سُبْحَانَ اللهِ»؟

وَالْجَوَابُ: هَذَا هُوَ السُّؤالُ الَّذِي أَوْرَدَهُ أُبَيُّ بْنُ كَعْبٍ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ بِعَيْنِهِ وأَجَابَهُ عَنْهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ قَالَ البُخَارِيُّ فِي (صَحِيحِهِ): عَنْ زِرٍّ، قَالَ:

(١) «تَفْسِيرُ الطَّبَرِيِّ» (٢٤/ ٧٤١).

(٢) «نَظْمُ الدُّرَرِ» (٢٢/ ٤٠٧).

سَأَلْتُ أُبَيَّ بْنَ كَعْبٍ عَنِ الْمُعَوِّذَتَيْنِ، فَقَالَ: سَأَلْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ فَقَالَ: «قِيلَ لِي فَقُلْتُ»، فَنَحْنُ نَقُولُ كَمَا قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ[١].

المَعْنَى الَّذِي أَشَارَ إِلَيْهِ ﷺ بِقَوْلِهِ: «قِيلَ لِي فَقُلْتُ» أَيْ: فَلَسْتُ مُبْتَدِئًا، بَلْ أَنَا مُبَلِّغٌ، أَقُولُ كَمَا يُقَالُ لِي، وأُبَلِّغُ كَلَامَ رَبِّي كَمَا أَنْزَلَهُ إِلَيَّ.

وتَحْتَ هَذَا مِن السِّرِ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَيْسَ لَهُ فِي القُرْآنِ إِلَّا بَلَاغُهُ، لَا أَنَّهُ هُو أَنْشَأَهُ مِنْ قِبَلِ نَفْسِهِ، بَلْ هُوَ المُبَلِّغُ لَهُ عَنِ اللهِ، وَقَدْ قَالَ اللهُ لَهُ: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾ [الفَلَق: ١] فَكَانَ مُقْتَضَى البَلَاغِ التَّامِّ أَنْ يَقُولَ: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾ [الفَلَق: ١] كَمَا قَالَ اللهُ، وهَذَا هُوَ المَعْنَى الَّذِي أَشَارَ إِلَيهِ ﷺ بِقَوْلِهِ: «قِيلَ لِي فَقُلْتُ» أَيْ: فَلَسْتُ مُبْتَدِئًا، بَلْ أَنَا مُبَلِّغٌ، أَقُولُ كَمَا يُقَالُ لِي، وأُبَلِّغُ كَلَامَ رَبِّي كَمَا أَنْزَلَهُ إِلَيَّ[٢].

وَافْتَتَحَ السُّورَةَ بـ (قُلْ)؛ لِأَنَّ اللهَ تَعَالَى أَمَرَ نَبِيَّهُ أَنْ يَقُولَهَا، وَهِيَ مِنَ السُّورَةِ لِنُزُولِهَا مَعَهَا، وَقَدْ قَالَ بَعْضُ فُصَحَاءِ السَّلَفِ: اِحْفَظِ الْقَلَاقِلَ، وَفِيهِ تَأْوِيلَانِ: أَحَدُهُمَا: قُلْ (قُلْ) فِي كُلِّ سُورَةٍ ذُكِرَ فِي أَوَائِلِهَا لِأَنَّهُ مِنْهَا. وَالثَّانِي: اِحْفَظِ السُّورَةَ الَّتِي فِي أَوَّلِهَا (قُلْ) لِتَأْكِيدِهَا بِالْأَمْرِ بِقِرَاءَتِهَا[٣].

---

(١) «صَحِيحُ الْبُخَارِيِّ» (٦/ ١٨١) بِنَحْوِهِ.

(٢) «بَدَائِعُ الْفَوَائِدِ» (٢/ ٧٠٦).

(٣) «تَفْسِيرُ الْمَاوَرْدِيِّ = النُّكَتُ وَالْعُيُونُ» (٦/ ٣٧٧).

﴿أَعُوذُ﴾

وَرَدَتْ مَادَّةُ (عَوَذَ) فِي القُرْآنِ سَبْعَةَ عَشَرَ مَرَّةً.

الْـمَعْنَى اللُّغَوِيُّ لِلاسْتِعَاذَةِ:

(عَـوَذَ) الْعَـيْنُ وَالْـوَاوُ وَالـذَّالُ أَصْـلٌ صَحِيـحٌ يَـدُلُّ عَـلَى مَعْنًـى وَاحِـدٍ، وَهُـوَ الِالْتِجَـاءُ إِلَى الـشَّيْءِ، ثُـمَّ يُحْمَـلُ عَلَيْـهِ كُلُّ شَيْءٍ لَصِـقَ بِـشَيْءٍ أَوْ لَازَمَـهُ.

۞ قَـالَ الْخَلِيـلُ: تَقُـولُ أَعُـوذُ بِاللَّـهِ - جَـلَّ ثَنَـاؤُهُ - أَيْ أَلْجَأُ إِلَيْـهِ - تَبَارَكَ وَتَعَـالَى -، عَـوْذًا أَوْ عِيَـاذًا. ويَقُولُـونَ: فُـلَانٌ عِيَـاذٌ لَـكَ، أَيْ مَلْجَـأٌ. وَقَوْلُهُـمْ: مَعَـاذَ اللَّـهِ، مَعْنَـاهُ أَعُـوذُ بِاللَّـهِ. وَكَذَا أَسْـتَعِيذُ بِاللَّـهِ. وَقَالَ «رَسُـولُ اللَّـهِ ﷺ لِلَّتِـي اسْـتَعَاذَتْ مِنْـهُ: لَقَـدْ عُـذْتِ بِمَعَـاذٍ»[1]. قَـالَ: وَالْعُـوذَةُ وَالْـمَعَاذَةُ: الَّتِـي يُعَـوَّذُ بِهَـا الْإِنْسَـانُ مِـنْ فَـزَعٍ أَوْ جُنُـونٍ، وَمِنْـهُ قِيـلَ لِلتَّمِيمَـةِ وَالرُّقْيَـةِ: عُـوذَةٌ، وَعَـوَّذَهُ: إِذَا وَقَـاهُ[2].

۞ وقَـالَ ابْـنُ الْقَيِّـمِ: «عَـاذَ» ومَـا تَـصَرَّفَ مِنْهَـا تَـدُلُ عَـلَى التَّحَـرُّزِ والتَّحَصُّـنِ والِالْتِجَـاءِ، وحَقِيقَـةُ مَعْنَاهَـا: الـهُرُوبُ مِـنْ شَيْءٍ تَخَافُـهُ إِلَى مَـنْ يَعْصِمُـكَ مِنْـهُ، فَمَعْنَـى «أَعُـوذُ»: أَلْتَجِـئُ وَأَعْتَصِـمُ وَأَتَحَـرَّزُ، وَفِي أَصْلِـهِ قَـوْلَانِ:

---

(١) «صَحِيـحُ الْبُخَـارِيِّ» (٧/ ٤١) عَـنْ عَائِشَـةَ، رَضِيَ اللَّـهُ عَنْهَـا: أَنَّ ابْنَـةَ الجَـوْنِ، لَمَّـا أُدْخِلَـتْ عَـلَى رَسُـولِ اللَّـهِ صَـلَّى اللهُ عَلَيْـهِ وَسَـلَّمَ وَدَنَـا مِنْهَـا، قَالَـتْ: أَعُـوذُ بِاللَّـهِ مِنْـكَ، فَقَـالَ لَهَـا: «لَقَـدْ عُـذْتِ بِعَظِيـمٍ، الحَقِـي بِأَهْلِـكِ».

(٢) «مَقَايِيسُ اللُّغَةِ» (٤/ ١٨٤) «الْـمُفْرَدَاتُ فِي غَرِيبِ الْقُرْآنِ» (ص٥٩٤).

* **أَحَدُهُمَا**: أَنَّهُ مَأْخُوذٌ مِنَ السِّتْرِ.

* **والثَّانِي**: أَنَّهُ مَأْخُوذٌ مِنْ لُزُومِ المُجَاوَرَة.

والقَوْلَانِ حَقٌّ، والاِسْتِعَاذَةُ تَنْتَظِمُهُمَا مَعًا؛ فَإِنَّ المُسْتَعِيذَ مُسْتَتِرٌ بِمَعَاذِهِ مُتَمَسِّكٌ بِهِ مُعْتَصِمٌ بِهِ، قَدِ اسْتَمْسَكَ قَلْبُهُ بِهِ ولَزِمَهُ، كَمَا يَلْزَمُ الوَلَدُ أَبَاهُ إِذَا شَهَرَ عَدُوُّهُ سَيفًا وقَصَدَهُ بِهِ، فَهَرَبَ مِنْهُ فَعَرَضَ لَهُ أَبُوهُ فِي طَرِيقِ هَرَبِهِ؛ فَإِنَّهُ يُلْقِي نَفْسَهُ عَلَيهِ ويَسْتَمْسِكُ بِهِ، فَكَذَلِكَ العَائِذُ قَدْ هَرَبَ مِنْ عَدُوِّهِ الَّذِي يَبْغِي هَلَاكَهُ إِلَى رَبِّهِ ومَالِكِهِ.

وَمَعْنَى الاِسْتِعَاذَةِ: القَائِمُ بِقَلْبِ المُسْتَعِيذِ وَرَاءَ هَذِهِ العِبَارَاتِ، وَإِنَّمَا هِيَ تَمْثِيلٌ وإِشَارَةٌ وَتَفْهِيمٌ، وَإِلَّا فَمَا يَقُومُ بالقَلْبِ حِينَئِذٍ مِنَ الاِلْتِجَاءِ وَالاِعْتِصَامِ وَالاِنْطِرَاحِ بَيْنَ يَدَيِ الرَّبِّ، وَالاِفْتِقَارِ إِلَيْهِ وَالتَّذَلُّلِ بَيْنَ يَدَيْهِ، أَمْرٌ لَا تُحِيطُ بِهِ العِبَارَةُ.

فَإِنْ قُلْتَ: فَلِمَ دَخَلَتِ السِّينُ وَالتَّاءُ فِي الأَمْرِ مِنْ هَذَا الفِعْلِ كَقَوْلِهِ: ﴿فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِ﴾ وَلَمْ تَدْخُلْ فِي المَاضِي وَالمُضَارِعِ، بَلِ الأَكْثَرُ أَنْ يُقَالَ: «أَعُوذُ بِالله»، وَ«عُذْتُ بِالله»، دُونَ «أَسْتَعِيذُ» وَ«اسْتَعَذْتُ»؟

قُلْتُ: السِّينُ وَالتَّاءُ دَالَّةٌ عَلَى الطَّلَبِ؛ فَقَوْلُهُ: «أَسْتَعِيذُ بِالله»، أَيْ: أَطْلُبُ العِيَاذَ بِهِ، فَدَخَلَتْ فِي الفِعْلِ إِيذَانًا لِطَلَبِ هَذَا المَعْنَى مِنَ المُعَاذِ، فَإِذَا قَالَ المَأْمُورُ: «أَعُوذُ بِالله»؛ فَقَدِ امْتَثَلَ مَا طُلِبَ مِنْهُ؛ لِأَنَّهُ طَلَبَ مِنْهُ الاِلْتِجَاءَ وَالاِعْتِصَامَ. فَلَمَّا كَانَ المُسْتَعِيذُ هَارِبًا مُلْتَجِئًا مُعْتَصِمًا بِالله أَتَى

بِالفِعْلِ الدَّالِ عَلَى ذَلِكَ دُونَ الفِعْلِ الدَّالِ عَلَى طَلَبِ ذَلِكَ، فَتَأَمَّلْهُ.

وَحَيْثُ أَرَادَ هَذَا المَعْنَى فِي الاِسْتِعَاذَةِ؛ فَلَا ضَيْرَ أَنْ يَأْتِيَ بِالسِّينِ، فَيَقُولُ: «أَسْتَعِيذُ بِالله»، أَيْ: أَطْلُبُ مِنْهُ أَنْ يعِيذَنِي، ولَكِنَّ هَذَا غَيْرُ مَعْنَى الاِعْتِصَامِ وَالاِلْتِجَاءِ وَالهَرَبِ إِلَيْهِ: -

فَالأَوَّلُ: مُخْبِرٌ عَنْ حَالِهِ وعِيَاذِهِ بِرَبِّهِ، وحُبُّهُ يَتَضَمَّنُ سُؤَالَهُ وطَلَبَهُ أَنْ يعِيذَهُ.

وَالثَّانِي: طَالِبٌ سَائِلٌ مِنْ رَبِّهِ أَنْ يعِيذَهُ، كَأَنَّهُ يَقُولُ: أَطْلُبُ مِنْكَ أَنْ تعِيذَنِي، فَحَالُ الأَوَّلِ أَكْمَلُ.

وَلِهَذَا جَاءَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فِي امْتِثَالِ هَذَا الأَمْرِ: «أَعُوذُ بِالله مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ»، وَ«أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ الله التَّامَّاتِ»[(١)] وَ«أَعُوذُ بِعِزَّةِ الله وَقُدْرَتِهِ»[(٢)] دُونَ «أَسْتَعِيذُ»، بَلِ الَّذِي عَلَّمَهُ اللهُ إِيَّاهُ أَنْ يَقُولَ: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾ [الفَلَق: ١] ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾ [النَّاس: ١]، فَتَأَمَّلْ هَذِهِ الحِكْمَةَ البَدِيعَةَ.

---

(١) «صَحِيحُ مُسْلِمٍ» (٤/ ٢٠٨٠) عَنْ خَوْلَةَ بِنْتِ حَكِيمٍ السُّلَمِيَّةِ، قالت سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: «مَنْ نَزَلَ مَنْزِلًا ثُمَّ قَالَ: أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ الله التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ، لَمْ يَضُرَّهُ شَيْءٌ، حَتَّى يَرْتَحِلَ مِنْ مَنْزِلِهِ ذَلِكَ».

(٢) «صَحِيحُ مُسْلِمٍ» (٤/ ١٧٢٨) عَنْ عُثْمَانَ بْنِ أَبِي الْعَاصِ الثَّقَفِيِّ، أَنَّهُ شَكَا إِلَى رَسُولِ الله ﷺ وَجَعًا يَجِدُهُ فِي جَسَدِهِ مُنْذُ أَسْلَمَ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ الله ﷺ: «ضَعْ يَدَكَ عَلَى الَّذِي تَأَلَّمَ مِنْ جَسَدِكَ، وَقُلْ بِاسْمِ الله ثَلَاثًا، وَقُلْ سَبْعَ مَرَّاتٍ أَعُوذُ بِالله وَقُدْرَتِهِ مِنْ شَرِّ مَا أَجِدُ وَأُحَاذِرُ».

وَقَدْ أَخْبَرَ اللهُ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ عَمَّنِ اسْتَعَاذَ بِخَلْقِهِ، أَنَّ اسْتِعَاذَتَهُ زَادَتْهُ طُغْيَانًا وَرَهَقًا، وَزَادَتِ الْمُسْتَعِيذَ خَوْفًا فَقَالَ عَنْ مُؤْمِنِي الْجِنِّ: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾ [الجن: ٦]، جَاءَ فِي التَّفْسِيرِ: أَنَّهُ كَانَ الرَّجُلُ مِنَ الْعَرَبِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ إِذَا سَافَرَ فَأَمْسَى فِي أَرْضٍ قَفْرٍ، قَالَ: أَعُوذُ بِسَيِّدِ هَذَا الْوَادِي مِنْ شَرِّ سُفَهَاءِ قَوْمِهِ، فَيَبِيتُ فِي أَمْنٍ وَجِوَارٍ مِنْهُمْ حَتَّى يُصْبِحَ، أَيْ: فَزَادَ الإِنْسُ الْجِنَّ بِاسْتِعَاذَتِهِمْ بِسَادَتِهِمْ رَهَقًا، أَيْ: طُغْيَانًا وَإِثْمًا وَشَرًّا، يَقُولُونَ: سُدْنَا الإِنْسَ وَالْجِنَّ.

وَاحْتَجَّ أَهْلُ السُّنَّةِ عَلَى الْمُعْتَزِلَةِ فِي أَنَّ كَلِمَاتِ اللهِ غَيْرُ مَخْلُوقَةٍ بِأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ اسْتَعَاذَ بِهَا بِقَوْلِهِ: «أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَّاتِ» وَهُوَ ﷺ لَا يَسْتَعِيذُ بِمَخْلُوقٍ أَبَدًا[1].

الْمَعْنَى الِاصْطِلَاحِيُّ لِلِاسْتِعَاذَةِ:

قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ: الاسْتِعَاذَةُ هِيَ الِالْتِجَاءُ إِلَى اللَّهِ وَالِالْتِصَاقُ بِجَنَابِهِ مِنْ شَرِّ كُلِّ ذِي شَرٍّ[2].

وَمِنَ الْآيَاتِ الَّتِي وَرَدَتْ فِيهَا الِاسْتِعَاذَةُ: -

﴿أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [البقرة:٦٧]	﴿وَإِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَن تَرْجُمُونِ﴾ [الدخان:٢٠]

(١) «بَدَائِعُ الْفَوَائِدِ» (٢/ ٧٠٩).

(٢) «تَفْسِيرُ ابْنِ كَثِيرٍ ت سَلَامَة» (١/ ١١٤).

﴿إِنِّيٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحۡمَٰنِ﴾ [مريم: ١٨]	﴿وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا بِكَ﴾[آل عمران/ ٣٦].
﴿مَعَاذَ ٱللَّهِ﴾ [يوسف: ٧٩]	﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلۡفَلَقِ﴾ [الفَلَق: ١]
﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾ [الناس: ١]	

﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلۡفَلَقِ﴾ [الفلق: ١]

وَلَمَّا كَانَتِ الاسْتِعَاذَةُ أَلِيقُ شَيْءٍ بِصِفَةِ الرُّبُوبِيَّةِ؛ لِأَنَّ الْإِعَاذَةَ مِنَ الْمَضَارِّ أَعْظَمُ تَرْبِيَةً قَالَ: ﴿بِرَبِّ ٱلۡفَلَقِ﴾ أَيِ الَّذِي يُرَبِّيهِ وَيُنْشِئُ مِنْهُ مَا يُرِيدُ(١).

الْمَعْنَى اللُّغَوِيُّ لِكَلِمَةِ الْفَلَقِ:

قَالَ ابْنُ فَارِسٍ: الْفَلَقُ الْفَاءُ وَاللَّامُ وَالْقَافُ أَصْلٌ صَحِيحٌ يَدُلُّ عَلَى فُرْجَةٍ وَبَيْنُونَةٍ فِي الشَّيْءِ، وَعَلَى تَعْظِيمِ شَيْءٍ. مِنْ ذَلِكَ: فَلَقْتُ الشَّيْءَ أَفْلِقُهُ فَلْقًا، وَالْفَلَقُ: الصُّبْحُ؛ لِأَنَّ الظَّلَامَ يَنْفَلِقُ عَنْهُ، وَالْفَلَقُ: مُطْمَئِنٌّ مِنَ الْأَرْضِ كَأَنَّهُ انْفَلَقَ، وَجَمْعُهُ فِلْقَانٌ، وَالْفَلَقُ: الْخَلْقُ كُلُّهُ، كَأَنَّهُ شَيْءٌ فُلِقَ عَنْهُ شَيْءٌ حَتَّى أُبْرِزَ وَأُظْهِرَ. انتهى.

قَالَ الْجَوْهَرِيُّ: فَلَقْتُ الشَّيْءَ فَلْقًا: شَقَقْتُهُ. يُقَالُ: فَلَقْتُهُ فَانْفَلَقَ وَتَفَلَّقَ. انتهى.

قَالَ الرَّاغِبُ: الْفَلْقُ: شَقُّ الشَّيْءِ وَإِبَانَةُ بَعْضِهِ عَنْ بَعْضٍ، وَالْفِلْقُ: الْمَفْلُوقُ(٢).

---

(١) «نَظْمُ الدُّرَرِ» (٢٢/ ٤٠٧).

(٢) «مَقَايِيسُ اللُّغَةِ» (٤/ ٤٥٢) «الصِّحَاحُ تَاجُ اللُّغَةِ وَصِحَاحُ الْعَرَبِيَّةِ» (٤/ ١٥٤٤) «الْمُفْرَدَاتُ فِي غَرِيبِ الْقُرْآنِ» (ص٦٤٥).

آيَاتٌ ذَكَرَ اللَّـهُ فِيهَا الْفَلَقَ: -

قال تعالى: ﴿ فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ ﴾ [الأنعام: ٩٦]	﴿إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ ﴾ [الأنعام: ٩٥]
﴿ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ ﴾ [الشعراء: ٦٣]	﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ﴾ [الفلق: ١]

فِي الْفَلَقِ سِتَّةُ تَأْوِيلَاتٍ: -

مَرَدُّهَا إِلَى الصُّبْحِ أَوْ جَهَنَّمَ أَوْ سِجْنٍ فِيهَا أَوْ الْخَلْقِ كُلِّهِ.

الْقَوْلُ الْأَوَّلُ: الْفَلَقُ سِجْنٌ فِي جَهَنَّمَ، قَالَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ(١) وَالسُّدِيُّ(٢).

عَنْ أَبِي هُرَيرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: « ﴿ٱلْفَلَقِ ﴾ [الفلق: ١] جُبٌّ فِي جَهَنَّمَ مُغَطًّى»(٣) وَلَكِنَّهُ ضَعِيفٌ، قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ: إِسْنَادُهُ غَرِيبٌ وَلَا يَصِحُّ رَفْعُهُ.

الْقَوْلُ الثَّانِي: أَنَّهُ اِسْمٌ مِنْ أَسْمَاءِ جَهَنَّمَ، قَالَهُ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْحُبُلِيُّ(٤).

وَجْهُ الْقَوْلِ الأَوَّلِ وَالثَّانِي:

أَنَّ اللهَ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى مِثْلِ هَذَا التَّعْذِيبِ الْعَظِيمِ الْخَارِجِ عَنْ حَدِّ أَوْهَامِ الْخَلْقِ،

---

(١) «تَفْسِيرُ الطَّبَرِيِّ» (٢٤/ ٧٤١).

(٢) «تَفْسِيرُ الطَّبَرِيِّ» (٢٤/ ٧٤١).

(٣) «تَفْسِيرُ ابْنِ كَثِيرٍ ت سَلَامَة» (٨/ ٥٣٥).

(٤) «تَفْسِيرُ الطَّبَرِيِّ» (٢٤/ ٧٤٣) بِنَحْوِهِ.

ثُمَّ قَدْ ثَبَتَ أَنَّ رَحْمَتَهُ أَعْظَمُ وَأَكْمَلُ وَأَتَمُّ مِنْ عَذَابِهِ، فَكَأَنَّهُ يَقُولُ: يَا صَاحِبَ الْعَذَابِ الشَّدِيدِ أَعُوذُ بِرَحْمَتِكَ الَّتِي هِيَ أَعْظَمُ وَأَكْمَلُ وَأَتَمُّ وَأَسْبَقُ وَأَقْدَمُ مِنْ عَذَابِكَ[١].

الْقَوْلُ الثَّالِثُ: أَنَّهَا الْجِبَالُ وَالصُّخُورُ تَنْفَلِقُ بِالْمِيَاهِ، وَهَذَا تَفْسِيرٌ بِالْمِثَالِ[٢] وَقَدْ ذَكَرَهُ الثَّعْلَبِيُّ وَالْمَاوَرْدِيُّ بِدُونِ عَزْوٍ لِقَائِلِهِ.

الْقَوْلُ الرَّابِعُ: أَنَّهُ كُلُّ مَا انْفَلَقَ عَنْ جَمِيعِ مَا خَلَقَ مِنَ الْحَيَوَانِ وَالصُّبْحِ وَالْحَبِّ وَالنَّوَى وَكُلِّ شَيْءٍ مِنْ نَبَاتٍ وَغَيْرِهِ، قَالَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ وَالْحَسَنُ[٣].

وَإِذَا تَأَمَّلْتَ الْخَلْقَ؛ تَبَيَّنَ لَكَ أَنَّ أَكْثَرَهُ عَنِ انْفِلَاقٍ. فَالْفَلَقُ جَمِيعُ الْمَخْلُوقَاتِ، وَفَلَقُ الصُّبْحِ مِنْ ذَلِكَ[٤]، وَهَذَا التَّأْوِيلُ أَقْرَبُ؛ لِأَنَّ الْمَوْجُودَ إِمَّا الْخَالِقُ وَإِمَّا الْخَلْقُ، فَإِذَا فَسَّرْنَا الْفَلَقَ بِهَذَا التَّفْسِيرِ صَارَ كَأَنَّهُ قَالَ: قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ جَمِيعِ الْمُمْكِنَاتِ، وَمُكَوِّنِ كُلِّ الْمُحْدَثَاتِ وَالْمُبْدَعَاتِ فَيَكُونُ التَّعْظِيمُ فِيهِ أَعْظَمَ، وَيَكُونُ الصُّبْحُ أَحَدَ الْأُمُورِ الدَّاخِلَةِ فِي هَذَا الْمَعْنَى[٥].

(١) «تَفْسِيرُ الرَّازِيِّ = مَفَاتِيحُ الغَيْبِ أَوْ التَّفْسِيرُ الْكَبِيرُ» (٣٢/ ٣٧٢).
(٢) «تَفْسِيرُ الثَّعْلَبِي = الْكَشْفُ وَالْبَيَانُ عَنْ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ» (٣٠/ ٥٣٦).
(٣) «تَفْسِيرُ الْمَاوَرْدِيِّ = النُّكَتُ وَالْعُيُونُ» (٦/ ٣٧٤).
(٤) «مَعَانِي الْقُرْآنِ وَإِعْرَابُهُ لِلزَّجَاجِ» (٥/ ٣٧٩).
(٥) «تَفْسِيرُ الرَّازِيِّ = مَفَاتِيحُ الغَيْبِ أَوْ التَّفْسِيرُ الْكَبِيرُ» (٣٢/ ٣٧٢).

الْقَـوْلُ الْخَامِـسُ: أَنَّـهُ الْخُلُـقُ كُلُّـهُ، قَالَـهُ اِبْـنُ عَبَّاسٍ[١] وَمُقَاتِـلٌ[٢] وَهَـذَا قَرِيـبٌ مِـنْ الَّـذِي قَبْلَـهُ.

فَالِاسْـتِعَاذَةُ بِـرَبِّ الْخَلْـقِ الـذِي يُؤَمِّـنُ مِـنْ شَرِّ خَلْقِـهِ. قَـالَ اللَّـهُ عَـزَّ وَجَـلَّ: (فَالِـقُ الْإِصْبَـاحِ) وَ (فَالِـقُ الْحَـبِّ وَالنَّـوَى). وَكَذَلِـكَ فَلَـقَ الْأَرْضَ بِالنَّبَـاتِ وَالسَّـحَابَ بِالْـمَطَرِ، قَـالَ الْفَـرَّاءُ وَالزَّجَّاجُ: الْفَلَـقُ جَمِيعُ الْـمَخْلُوقَاتِ وَفَلَـقَ الصُّبْـحَ مِـنْ ذَلِـكَ. اِنْتَهَـى.

۞ **قَـالَ اِبْـنُ فَـارِسٍ:** وَالْفِـرْقُ: الْفِلْـقُ مِـنَ الـشَّيْءِ إِذَا انْفَلَـقَ، قَـالَ اللَّـهُ - تَعَـالَى ﴿فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرۡقٖ كَٱلطَّوۡدِ ٱلۡعَظِيمِ﴾ [الشعراء: ٦٣].

۞ **قَـالَ الْقُرْطُبِـيُّ:** وهَـذَا الْقَـوْلُ يَشْـهَدُ لَـهُ الِاشْـتِقَاقُ، فَـإِنَّ الْفَلَـقَ الشَّـقُّ. فَلَقْـتُ الـشَّيْءَ فَلْقًـا أَيْ شَـقَقْتُهُ. وَالتَّفْلِيـقُ مِثْلُـهُ. يُقَـالُ: فَلَقْتُـهُ فَانْفَلَـقَ وَتَفَلَّـقَ. فَـكُلُّ مَـا اِنْفَلَـقَ عَـنْ شَيءٍ مِـنْ حَيَـوَانٍ وَصُبْـحٍ وَحَـبٍّ وَنَـوًى وَمَـاءٍ فَهُـوَ فَلَقٌ[٣] وَهَـذَا الْقَـولُ يُشْـبِهُ الَّـذِي قَبْلَـهُ.

الْقَـوْلُ السَّـادِسُ: أَنَّـهُ فَلَـقُ الصُّبْـحِ، قَالَـهُ جَابِـرُ بْـنُ عَبْدِ اللَّـهِ وَابْـنُ عَبَّاسٍ وَالْحَسَـنُ وَسَـعِيدُ بْـنُ جُبَـيْرٍ وَمُجَاهِـدٌ[٤] وَابْـنُ زَيْدٍ وَقَتَـادَةُ[٥].

---

(١) «تَفْسِيرُ الطَّبَرِيِّ» (٢٤/ ٧٤٥).

(٢) «تَفْسِيرُ مُقَاتِلِ بْنِ سُلَيْمَانَ» (٤/ ٩٣٤).

(٣) «تَفْسِيرُ الْقُرْطُبِيِّ» (٢٠/ ٢٥٥).

(٤) «صَحِيحُ الْبُخَارِيِّ مُعَلَّقًا» (٦/ ١٨١).

(٥) «تَفْسِيرُ الطَّبَرِيِّ» (٢٤/ ٧٤٤) «الْكَشْفُ وَالْبَيَانُ عَنْ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ» (٣٠/ ٥٣٥).

۞ **وَقَالَ الْفَرَّاءُ وَالزَّجَّاجُ:** هُوَ فَلَقُ الصُّبْحِ وَهُوَ ضِيَاؤُهُ، وَيُقَالُ أَيْضًا فَرَقُ الصُّبْحِ. وَقَالَ النَّحَاسُ: وَإِذَا وَقَعَ الاخْتِلَافُ وَجَبَ أَنْ يُرْجَعَ إِلَى اللِّسَانِ الَّذِي نَزَلَ بِهِ الْقُرْآنُ(٦).

وَالْعَرَبُ تَقُولُ: هُوَ أَبْيَنُ مِنْ فَلَقِ الصُّبْحِ وَفَرَقِهِ، يَعْنُونَ الْفَجْرَ.

وَالصُّبْحُ آخِرُ اللَّيْلِ، وَأَوَّلُ النَّهَارِ، وَقَدْ جَرَى تَدْبِيرُ اللَّهِ - تَعَالَى - فِي إِنْشَاءِ هَذَيْنِ الوَقْتَيْنِ عَلَى جَمِيعِ العَالَمِ، بِحَيْثُ لَا يَمْلِكُ أَحَدٌ الِامْتِنَاعَ عَنْ حُكْمِهِمَا فِيمَا جَعَلَ لَهُمَا، وَهُمَا النِّهَايَةُ فِي الْعِلْمِ بِعِلْمِ اللَّهِ - تَعَالَى - الغَيْبَ؛ إِذْ جَرَى مِنْ تَدْبِيرِهِ فِي أَمْرِ الأَوْقَاتِ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ عَلَى حَدٍّ وَاحِدٍ كُلَّ عَامٍ، بِمَا فِيهِمَا مِنَ الرَّحْمَةِ لِلْخَلْقِ وَأَنْوَاعِ المِحْنَةِ، وَمَنَّ عَلَيْهِمَا بِمَا يَأْتِيَانِ الخَلْقَ وَيَذْهَبَانِ؛ فَكَأَنَّمَا ذَكَرَ جَمِيعَ الخَلْقِ عَلَى مَا ذُكِرَ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ - تَعَالَى -: ﴿بِرَبِّ النَّاسِ﴾؛ فَيَكُونُ فِيهِ لَوْ قَصَدَ بِالذِّكْرِ مَا فِي كُلِّ ذَلِكَ، وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ(٧).

۞ **وَقَالَ المَاوَرْدِيُّ:** أَصْلُ الفَلَقِ الشِّقُّ الوَاسِعُ، وَقِيلَ لِلصُّبْحِ فَلَقٌ لِفَلْقِ الظَّلَامِ عَنْهُ، كَمَا قِيلَ لَهُ فَجْرٌ لِانْفِجَارِ الضَّوْءِ مِنْهُ(٨).

---

(٦) «إِعْرَابُ الْقُرْآنِ لِلنَّحَاسِ» (٥/ ١٩٧).

(٧) «تَفْسِيرُ الْمَاتُرِيدِيِّ = تَأْوِيلَاتُ أَهْلِ السُّنَّةِ» (١٠/ ٦٥٥).

(٨) ينظر: «تَفْسِيرُ الطَّبَرِيِّ» (٢٤/ ٧٤٢) «مَجَازُ الْقُرْآنِ» (٢/ ٣١٧) «مَقَايِيسُ اللُّغَةِ» (٤/ ٤٩٤) «الْكَشَّافُ عَنْ حَقَائِقِ غَوَامِضِ التَّنْزِيلِ» (٤/ ٨٢٠) «تَفْسِيرُ الْمَاوَرْدِيِّ» (٦/ ٣٧٥) «مَفَاتِيحُ الغَيْبِ» (٣٢/ ٣٧٢) «مَعَانِي الْقُرْآنِ لِلْفَرَّاءِ» (٣/ ٣٠١) «مَعَانِي=

وَقَالَ الزَّمَخْشَرِيُّ: الفَلَقُ وَالْفَرَقُ: الصُّبْحُ، لِأَنَّ اللَّيْلَ يَفْلِقُ عَنْهُ وَيُفَرَقُ: فِعْلٌ بِمَعْنَى مَفْعُولٍ. يُقَالُ فِي المَثَلِ: هُوَ أَبْيَنُ مِنْ فَلَقِ الصُّبْحِ، وَمِنْ فَرَقِ الصُّبْحِ. وَمِنْهُ قَوْلُهُمْ: سَطَعَ الفُرْقَانُ، إِذَا طَلَعَ الفَجْرُ. اِنْتَهَى.

وَقَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ مَعْمَرُ بنُ المُثَنَّى: «الْفَلَقُ» الصُّبْحُ. اِنْتَهَى.

وَقَالَ السَّمْعَانِيُّ: الأَظْهَرُ -: أَنَّ الْفَلَقَ هُوَ الصُّبْحُ[1].

وَقَالَ الوَاحِدِيُّ: الأَكْثَرُونَ عَلَى أَنَّهُ الصُّبْحُ[2].

وَقَالَ اِبْنُ كَثِيرٍ: هَذَا هُوَ الصَّحِيحُ، وَهُوَ اخْتِيَارُ الْبُخَارِيِّ، رَحِمَهُ اللَّهُ، فِي صَحِيحِهِ انتهى[3]، وَمِنْهُ قَوْلُ الله: (فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَاعِلُ اللَّيْلِ سَكَنًا)

قَالَ الشَّاعِرُ:

(يَا لَيْلَةً لَمْ أَنَمْهَا بِتُّ مُرْتَفِقًا... أَرْعَى النُّجُومَ إِلَى أَنْ نَوَّرَ الفَلَقُ.)

وَتَخْصِيصُ الصُّبْحِ فِي التَّعَوُّذِ لِوُجُوهٍ:

* **الْأَوَّلُ**: أَنَّ الْقَادِرَ عَلَى إِزَالَةِ هَذِهِ الظُّلُمَاتِ الشَّدِيدَةِ عَنْ كُلِّ هَذَا الْعَالَمِ يَقْدِرُ أَيْضًا أَنْ يَدْفَعَ عَنِ الْعَائِذِ كُلَّ مَا يَخَافُهُ وَيَخْشَاهُ.

=الْقُرْآنِ وَإِعْرَابُهُ لِلزَّجَاجِ» (٥/ ٣٧٩) «تَفْسِيرُ ابْنِ كَثِيرٍ» (٨/ ٥٣٥) «التَّفْسِيرُ الْبَسِيطُ» (٢٤/ ٤٥٤).

(١) «تَفْسِيرُ السَّمْعَانِيِّ» (٦/ ٣٠٥).

(٢) «التَّفْسِيرُ الْبَسِيطُ» (٢٤/ ٤٥٤).

(٣) «تَفْسِيرُ ابْنِ كَثِيرٍ ت سَلَامَة» (٨/ ٥٣٥).

* **الثَّانِي**: أَنَّ طُلُوعَ الصُّبْحِ كَالْمِثَالِ لِمَجِيءِ الْفَرَجِ، فَكَمَا أَنَّ الْإِنْسَانَ فِي اللَّيْلِ يَكُونُ مُنْتَظِرًا لِطُلُوعِ الصَّبَاحِ، كَذَلِكَ الْخَائِفُ يَكُونُ مُتَرَقِّبًا لِطُلُوعِ صَبَاحِ النَّجَاحِ.

* **الثَّالِثُ**: أَنَّ الصُّبْحَ كَالْبُشْرَى؛ فَإِنَّ الْإِنْسَانَ فِي الظَّلَامِ يَكُونُ كَلَحْمٍ عَلَى وَضَمٍ، فَإِذَا ظَهَرَ الصُّبْحُ فَكَأَنَّهُ صَاحَ بِالْأَمَانِ وَبُشِّرَ بِالْفَرَجِ، فَالْحَقُّ سُبْحَانَهُ يَقُولُ: قُلْ أَعُوذُ بِرَبٍّ يُعْطِي إِنْعَامَ فَلَقِ الصُّبْحِ قَبْلَ السُّؤَالِ، فَكَيْفَ بَعْدَ السُّؤَالِ.

* **الرَّابِعُ**: يُحْتَمَلُ أَنَّهُ خَصَّ الصُّبْحَ بِالذِّكْرِ؛ لِأَنَّهُ أُنْمُوذَجٌ مِنْ يَوْمِ الْقِيَامَةِ؛ لِأَنَّ الْخَلْقَ كَالْأَمْوَاتِ وَالدُّورَ كَالْقُبُورِ، ثُمَّ مِنْهُمْ مَنْ يَخْرُجُ مِنْ دَارِهِ مُفْلِسًا عُرْيَانًا لَا يُلْتَفَتُ إِلَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ كَانَ مَلِكًا، كَذَا فِي يَوْمِ الْقِيَامَةِ بَعْضُهُمْ مُفْلِسٌ عَنِ الثَّوَابِ، وَبَعْضُهُمْ كَانَ مُطِيعًا لِرَبِّهِ فِي الدُّنْيَا فَصَارَ مَلِكًا مُطَاعًا فِي الْعُقْبَى.

* **الْخَامِسُ**: يُحْتَمَلُ أَنَّهُ تَعَالَى خَصَّ الصُّبْحَ بِالذِّكْرِ؛ لِأَنَّهُ وَقْتُ الصَّلَاةِ الْجَامِعَةِ لِأَحْوَالِ الْقِيَامَةِ فَالْقِيَامُ فِي الصَّلَاةِ يُذَكِّرُ الْقِيَامَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَمَا قَالَ: ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الْمُطَفِّفِينَ: ٦]، وَالْقِرَاءَةُ فِي الصَّلَاةِ تُذَكِّرُ قِرَاءَةَ الْكُتُبِ، وَالرُّكُوعُ فِي الصَّلَاةِ يُذَكِّرُ مِنَ الْقِيَامَةِ قَوْلَهُ: ﴿نَاكِسُواْ رُءُوسِهِمْ﴾ [السَّجْدَة: ١٢]، وَالسُّجُودُ فِي الصَّلَاةِ يُذَكِّرُ قَوْلَهُ: ﴿وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ [الْقَلَم: ٤٢]، وَالْقُعُودُ يُذَكِّرُ قَوْلَهُ: ﴿وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً﴾ [الْجَاثِيَة: ٢٨] فَكَأَنَّ الْعَبْدَ يَقُولُ: إِلَهِي كَمَا خَلَّصْتَنِي مِنْ

ظُلْمَةِ اللَّيْلِ فَخَلِّصْنِي مِنْ هَذِهِ الْأَهْوَالِ، وَإِنَّمَا خُصَّ وَقْتُ صَلَاةِ الصُّبْحِ؛ لِأَنَّ لَهَا مَزِيدَ شَرَفٍ عَلَى مَا قَالَ: ﴿إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾ [الْإِسْرَاء: ٧٨] أَيْ تَحْضُرُهَا مَلَائِكَةُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ. الثَّامِنُ: أَنَّهُ وَقْتُ الِاسْتِغْفَارِ[١].

وَقَالَ سَيِّدُ قُطْبُ: فَالِاسْتِعَاذَةُ بِرَبِّ الصُّبْحِ الَّذِي يُؤَمِّنُ بِالنُّورِ مِنْ شَرِّ كُلِّ غَامِضٍ مَسْتُورٍ.

وَرَجَّحَ الطَّبَرِيُّ كَعَادَتِهِ الْعُمُومَ فَقَالَ: وَالصَّوَابُ مِنَ الْقَوْلِ فِي ذَلِكَ، أَنْ يُقَالَ: إِنَّ اللهَ -جَلَّ ثَنَاؤُهُ- أَمَرَ نَبِيَّهُ مُحَمَّدًا ﷺ أَنْ يَقُولَ: ﴿أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾ [الفَلَق: ١] وَالْفَلَقُ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ: فَلَقُ الصُّبْحِ، تَقُولُ الْعَرَبُ: هُوَ أَبْيَنُ مِنْ فَلَقِ الصُّبْحِ، وَمِنْ فَرَقِ الصُّبْحِ. وَجَائِزٌ أَنْ يَكُونَ فِي جَهَنَّمَ سِجْنٌ اسْمُهُ فَلَقٌ، وَإِذَا كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ، وَلَمْ يَكُنْ جَلَّ ثَنَاؤُهُ وَضَعَ دَلَالَةً عَلَى أَنَّهُ عُنِيَ بِقَوْلِهِ ﴿بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾ بَعْضَ مَا يُدْعَى الْفَلَقُ دُونَ بَعْضٍ، وَكَانَ اللَّهُ تَعَالَى ذِكْرُهُ رَبَّ كُلِّ مَا خَلَقَ مِنْ شَيْءٍ، وَجَبَ أَنْ يَكُونَ مَعْنِيًّا بِهِ كُلَّ مَا اسْمُهُ الْفَلَقُ، إِذْ كَانَ رَبَّ جَمِيعِ ذَلِكَ، وَقَالَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ ﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ﴾؛ لِأَنَّهُ أَمَرَ نَبِيَّهُ أَنْ يَسْتَعِيذَ مِنْ شَرِّ كُلِّ شَيْءٍ، إِذَا كَانَ كُلُّ مَا سِوَاهُ، فَهُوَ مَا خَلَقَ[٢]

(١) «تَفْسِيرُ الرَّازِيِّ = مَفَاتِيحُ الغَيْبِ أَوْ التَّفْسِيرُ الْكَبِيرُ» (٣٢/ ٣٧١).

(٢) «تَفْسِيرُ الطَّبَرِيِّ» (٢٤/ ٧٤٥).

﴿ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ﴾ [الفلق: ٢]

قَوْلُهُ جَلَّ ثَنَاءُهُ: ﴿ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ﴾، هَذِهِ الآيَةُ يَدْخُلُ فِيهَا التَّعَوُّذُ مِنْ كُلِّ المَخْلُوقَاتِ.

وَيُسْتَفَادُ مِنَ الْآيَةِ أَنَّ اللهَ هُوَ خَالِقُ الشَّرِّ خِلَافًا لِلْقَدَرِيَّةِ.

الشَّرُّ:

قَالَ اِبْنُ فَارِسٍ: (شَرَّ) الشِّينُ وَالرَّاءُ أَصْلٌ وَاحِدٌ يَدُلُّ عَلَى الِانْتِشَارِ وَالتَّطَايُرِ. مِنْ ذَلِكَ الشَّرِّ خِلَافُ الْخَيْرِ. وَرَجُلٌ شِرِّيرٌ، وَهُوَ الْأَصْلُ؛ لِانْتِشَارِهِ وَكَثْرَتِهِ.

قَالَ الرَّاغِبُ: الشَّرُّ هُوَ الَّذِي يَرْغَبُ عَنْهُ الْكُلُّ، كَمَا أَنَّ الخَيْرَ هُوَ الذِي يَرْغَبُ فِيهِ الكُلُّ[١].

تَعْوِيذَاتٌ نَبَوِيَّةٌ: -

عَنْ خَوْلَةَ بِنْتِ حَكِيمٍ، قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: مَنْ نَزَلَ مَنْزِلًا، فَقَالَ: «أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ لَمْ يَضُرَّهُ شَيْءٌ حَتَّى يَرْتَحِلَ مِنْ مَنْزِلِهِ ذَلِكَ»[٢].

---

(١) «مَقَايِيسُ اللُّغَةِ» (٣/ ١٨٠) «الْمُفْرَدَاتُ فِي غَرِيبِ الْقُرْآنِ» (ص٤٤٨).

(٢) «صَحِيحُ مُسْلِمٍ» (٤/ ٢٠٨٠).

۞ وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «تَعَوَّذُوا بِاللَّهِ مِنْ جَهْدِ البَلَاءِ، وَدَرَكِ الشَّقَاءِ، وَسُوءِ القَضَاءِ، وَشَمَاتَةِ الأَعْدَاءِ»[١].

وَقَوْلُهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ ﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ﴾ فِيهِ ثَلَاثَةُ أَقْوَالٍ:

* **أَحَدُهَا**: أَنَّ شَرَّ مَا خَلَقَ جَهَنَّمُ، قَالَهُ ثَابِتٌ الْبُنَانِيُّ.

* **الثَّانِي**: إِبْلِيسُ وَذُرِّيَّتُهُ، قَالَهُ الحَسَنُ.

* **الثَّالِثُ**: أَمَرَ اللهُ نَبِيَّهُ أَنْ يَسْتَعِيذَ مِنْ شَرِّ كُلِّ شَيْءٍ، إِذَا كَانَ كُلُّ مَا سِوَاهُ، فَهُوَ مَا خَلَقَ. قَالَهُ الطَّبَرِيُّ[٢].

📖 **وَقَدْ حَاوَلَ الْـمُعْتَزِلَةُ القَدَرِيَّةُ تَحْرِيفَ هَذِهِ الآيَةِ لِيَنْفُوا عَنِ اللَّهِ خَلْقَ الشَّرِّ:**

۞ **قَالَ ابْنُ عَطِيَّةَ**: قَرَأَ عَمْرُو بْنُ عُبَيْدٍ وَبَعْضُ الْمُعْتَزِلَةِ القَائِلِينَ: بِأَنَّ اللهَ لَمْ يَخْلُقِ الشَّرَّ «مِنْ شَرٍّ» عَلَى النَّفْيِ وَهِيَ قِرَاءَةٌ مَرْدُودَةٌ مَبْنِيَّةٌ عَلَى مَذْهَبٍ بَاطِلٍ، اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ[٣].

۞ **وَقَالَ ابْنُ حَجَرٍ**: وَأَطْبَقَ الْقُرَّاءُ حَتَّى أَهْلُ الشُّذُوذِ عَلَى إِضَافَةِ شَرِّ إِلَى مَا إِلَّا عَمْرَو بْنَ عُبَيْدٍ رَأْسَ الاعْتِزَالِ فَقَرَأَهَا بِتَنْوِينِ شَرٍّ لِيُصَحِّحَ مَذْهَبَهُ وَهُوَ مَحْجُوجٌ بِإِجْمَاعِ مَنْ قَبْلَهُ عَلَى قِرَاءَتِهَا بِالْإِضَافَةِ[٤].

---

(١) «صَحِيحُ الْبُخَارِيِّ» (٨/ ١٢٦).
(٢) «تَفْسِيرُ الطَّبَرِيِّ» (٢٤/ ٧٤٥) «تفسير الماوردي = النكت والعيون» (٦/ ٣٧٤).
(٣) «تَفْسِيرُ ابْنِ عَطِيَّةَ = الْـمُحَرَّرُ الْوَجِيزُ فِي تَفْسِيرِ الْكِتَابِ الْعَزِيزِ» (٥/ ٥٣٨).
(٤) «فَتْحُ الْبَارِي لابْنِ حَجَرٍ» (١٣/ ٥٢٩).

اللَّـهُ خَالِقُ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ:

﴿ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ﴾ [الفلق: ٢].

﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [الصافات: ٩٦].

﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ ﴾ [التغابن: ٢].

وَقَالَ اللَّـهُ عَـزَّ وَجَلَّ: ﴿ٱللَّهُ خَـٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّـٰرُ﴾ [الرعد: ١٦] وَقَالَ: ﴿خَـٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ﴾ [الأنعام: ١٠٢].

وَقَالَ: ﴿ بَدِيعُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَـٰحِبَةٌ ۖ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [الأنعام:١٠١] . فَامْتُدِحَ بِالْقَوْلَيْنِ جَمِيعًا فَكَمَا لَا يَخْرُجُ شَيْءٌ عَنْ عِلْمِهِ لَا يَخْرُجُ شَيْءٌ عَنْ خَلْقِهِ.

وَقَالَ: ﴿ إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَـٰهُ بِقَدَرٍ ﴾ [القمر: ٤٩].

وَقَالَ: ﴿ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ﴾ [الفرقان: ٢].

وَقَالَ: ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ خَـٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ ﴾ [غافر: ٦٢].

وَقَالَ: ﴿ قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِى رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَىْءٍ ۚ ﴾ [الأنعام: ١٦٤].

وَقَالَ: ﴿ قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ ﴾ [المؤمنون: ٨٨].

وَقَالَ: ﴿ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [المائدة:١٧].

۞ **وَعَنْ حُذَيْفَةَ، قَالَ:** قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ اللهَ خَالِقُ كُلِّ صَانِعٍ وَصَنْعَتِهِ»[(١)].

۞ **قَالَ حُمَيْدُ الطَّوِيلُ:** قُلْتُ لِلْحَسَنِ: مَنْ خَلَقَ الشَّرَّ؟ فَقَالَ سُبْحَانَ اللَّهِ! هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، خَلَقَ الْخَيْرَ وَالشَّرَّ[(٢)].

۞ **وقَالَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ:** لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ لَا يُعْصَى، مَا خَلَقَ إِبْلِيسَ، وَهُوَ رَأْسُ الْخَطِيئَةِ[(٣)].

۞ **وَقَالَ الآجُرِّيُّ:** يُقَالُ لِلْقَدَرِيِّ: يَا مَنْ لَعِبَ بِهِ الشَّيْطَانُ، يَا مَنْ يُنْكِرُ أَنَّ اللهَ تَعَالَى خَلَقَ الشَّرَّ، أَلَيْسَ إِبْلِيسُ أَصْلَ كُلِّ شَرٍّ؟ أَلَيْسَ اللَّهُ خَلَقَهُ؟ أَلَيْسَ اللَّهُ تَعَالَى خَلَقَ الشَّيَاطِينَ وَأَرْسَلَهُمْ عَلَى مَنْ أَرَادَ لِيُضِلُّوهُمْ عَنْ طَرِيقِ الرُّشْدِ؟ فَأَيُّ حُجَّةٍ لَكَ يَا قَدَرِيُّ؟ يَا مَنْ قَدْ حُرِمَ التَّوْفِيقَ، أَلَيْسَ اللَّهُ تَعَالَى قَالَ: ﴿وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَآءَ فَزَيَّنُواْ لَهُم مَّا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ فِىٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ إِنَّهُمْ كَانُواْ خَٰسِرِينَ﴾ [فصلت:٢٥]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ﴾ [الزخرف: ٣٧]، وَقَالَ

---

(١) «الْمُسْتَدْرِكَ عَلَى الصَّحِيحَيْنِ لِلْحَاكِمِ» (١/ ٨٥)

(٢) «تَفْسِيرُ الْقُرْطُبِيِّ» (٤١/ ٢٢٣).

(٣) «الْقَدَرُ لِلْفِرْيَابِيِّ» (ص ٢٩١).

تعَـالَى: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّآ أَرْسَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا ﴾ [مريم: ٨٣]؟[1]

وقَالَ ابْنُ بَطَّةَ الْعُكْبَرِيُّ: احْذَرُوا مَذَاهِبَ الْمَشَائِيمِ الْقَدَرِيَّةِ، الَّذِينَ أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ، فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَى أَبْصَارَهُمْ، وَجَعَلَ عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ، وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا، حَتَّى زَعَمُوا أَنَّ الْمَشِيئَةَ إِلَيْهِمْ، وَأَنَّ الْخَيْرَ وَالشَّرَّ بِأَيْدِيهِمْ، وَأَنَّهُمْ إِنْ شَاءُوا أَصْلَحُوا أَنْفُسَهُمْ، وَإِنْ شَاءُوا أَفْسَدُوهَا، وَأَنَّ الطَّاعَةَ وَالْمَعْصِيَةَ إِلَيْهِمْ، فَإِنْ شَاءُوا عَصَوُا اللهَ وَخَالَفُوهُ فِيمَا لَا يَشَاؤُهُ وَلَا يُرِيدُهُ، حَتَّى مَا شَاءُوا هُمْ كَانَ، وَمَا شَاءَ اللَّهُ لَا يَكُونُ، وَمَا لَا يَشَاؤُهُ لَا يَكُونُ، وَمَا لَا يَشَاؤُهُ اللَّهُ يَكُونُ، فَإِنَّ الْقَدَرِيَّ الْمَلْعُونَ لَا يَقُولُ: اللَّهُمَّ اعْصِمْنِي، وَلَا: اللَّهُمَّ وَفِّقْنِي، وَلَا يَقُولُ: اللَّهُمَّ أَلْهِمْنِي رُشْدِي، وَلَا يَقُولُ ﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا ﴾ [آل عمران: ٨]، وَيَقُولُ: إِنَّ اللهَ لَا يَزِيغُ الْقُلُوبَ وَلَا يُضِلُّ أَحَدًا، وَيَجْحَدُ الْقُرْآنَ وَيُعَانِدُ الرَّسُولَ وَيُخَالِفُ إِجْمَاعَ الْمُسْلِمِينَ، وَلَا يَقُولُ: لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ، وَلَا يَقُولُ: مَا شَاءَ اللَّهُ كَانَ وَمَا لَا يَشَأْ لَا يَكُونُ، وَيُنْكِرُ ذَلِكَ عَلَى مَنْ قَالَهُ، وَيَزْعُمُ أَنَّ الْمَشِيئَةَ إِلَيْهِ وَالْحَوْلَ وَالْقُوَّةَ بِيَدَيْهِ، وَأَنَّهُ إِنْ شَاءَ أَطَاعَ اللهَ، وَإِنْ شَاءَ عَصَى، وَإِنْ شَاءَ أَخَذَ وَإِنْ شَاءَ أَعْطَى، وَإِنْ شَاءَ افْتَقَرَ وَإِنْ شَاءَ اسْتَغْنَى. وَيُنْكِرُ أَنْ يَكُونَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ خَالِقَ الشَّرِّ، وَأَنَّ اللهَ شَاءَ أَنْ يَكُونَ فِي الْأَرْضِ شَيْءٌ مِنَ الشَّرِّ وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّ اللهَ خَلَقَ إِبْلِيسَ وَهُوَ رَأْسُ كُلِّ شَرٍّ، وَأَنَّ اللهَ عَلِمَ ذَلِكَ مِنْهُ قَبْلَ أَنْ

(١) «الشَّرِيعَةُ لِلآجُرِّي» (٢/ ٩٦٥).

يَخْلُقَـهُ، وَاللَّـهُ تَعَالَى يَقُـولُ: ﴿ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ﴾ [الفلق: ٢] وَاللَّـهُ يَقُـولُ: ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [الصافات: ٩٦]، وَيَقُـولُ: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ ﴾ [التغابن: ٢]، فَالْقَـدَرِيُّ يَجْحَـدُ هَـذَا كُلَّـهُ وَيَزْعُـمُ أَنَّـهُ يَعْـصِي اللهَ قَـسْرًا وَيُخَالِفُـهُ شَـاءَ أَمْ أَبَى(١).

۞ قَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ: مَسْأَلَةٌ يَقْطَعُ بِهَا الْقَدَرِيُّ، يُقَالُ لَهُ: أَخْبِرْنَا، أَرَادَ اللَّـهُ مِنَ الْعِبَادِ أَنْ يُؤْمِنُوا بِهِ وَيُطِيعُوهُ وَلَا يَعْصُوهُ فَلَمْ يُقَدِّرْ، أَمْ قَدَّرَ فَلَمْ يُرِدْ؟ فَإِنْ قَالَ: قَدَّرَ فَلَمْ يُرِدْ، قِيلَ لَهُ: فَمَنْ يَهْدِي مَنْ لَمْ يُرِدِ اللَّـهُ هِدَايَتَهُ؟ وَإِنْ قَالَ: أَرَادَ فَلَمْ يُقَدِّرْ، قِيلَ لَهُ: لَا يَشُكُّ جَمِيعُ الْخَلْقِ أَنَّكَ قَدْ كَفَرْتَ يَا عَدُوَّ اللَّـهِ»(٢).

۞ وَعَنْ يَحْيَى بْنِ مُعَاذٍ الرَّازِيِّ، يَقُولُ: «إِنَّمَا نَشَطُوا إِلَيْهِ عَلَى قَدْرِ مَنَازِلِهِمْ لَدَيْهِ، هَانُوا عَلَيْهِ فَعَصَوْهُ، وَلَوْ كَرُمُوا عَلَيْهِ لَأَطَاعُوهُ»(٣).

(١) «الإِبَانَةُ الْكُبْرَى لِابْنِ بَطَّةَ» (٤/ ٢٨٦).

(٢) «الإِبَانَةُ الْكُبْرَى لِابْنِ بَطَّةَ» (٤/ ٢٨٧).

(٣) «الإِبَانَةُ الْكُبْرَى لِابْنِ بَطَّةَ» (٤/ ٢٩٣).

﴿ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴾ [الفلق: ٣]

﴿ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴾- وَمِنْ شَرِّ مُظْلِمٍ إِذَا دَخَلَ، وَهَجَمَ عَلَيْنَا بِظَلَامِهِ، مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيۡلِ ﴾ [الإسراء: ٧٨]

قَالَ ابْنُ فَارِسٍ: (غَسَقَ) الْغَيْنُ وَالسِّينُ وَالْقَافُ أَصْلٌ صَحِيحٌ يَدُلُّ عَلَى ظُلْمَةٍ. فَالْغَسَقُ: الظُّلْمَةُ. وَالْغَاسِقُ: اللَّيْلُ. وَيُقَالُ: غَسَقَتْ عَيْنُهُ: أَظْلَمَتْ. وَأَغْسَقَ الْمُؤَذِّنُ، إِذَا أَخَّرَ صَلَاةَ الْمَغْرِبِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ[(١)].

وَأَصْلُ الْغَسَقِ الْجَرَيَانُ بِالضَّرَرِ، مَأْخُوذٌ مِنْ قَوْلِهِمْ غَسَقَتِ الْقُرْحَةُ إِذَا جَرَى صَدِيدُهَا، وَالْغَسَّاقُ: صَدِيدُ أَهْلِ النَّارِ، لِجَرَيَانِهِ بِالْعَذَابِ وَغَسَقَتْ عَيْنُهُ إِذَا جَرَى دَمْعُهَا بِالضَّرَرِ فِي الْخَلْقِ.

وَفِي هَذِهِ الآيَةِ أَرْبَعَةُ تَأْوِيلَاتٍ مُتَلَازِمَةٍ تُعَبِّرُ عَنْ مَعْنَى وَاحِدٍ، وَهُوَ دُخُولُ اللَّيْلِ، وَهِيَ: -

* **الْأَوَّلُ**: الشَّمْسُ إِذَا غَرَبَتْ، قَالَهُ ابْنُ شِهَابٍ[(٢)].

* **الثَّانِي**: أَنَّهُ الثُّرَيَّا إِذَا سَقَطَتْ، وَكَانَتِ الْأَسْقَامُ وَالطَّوَاعِينُ تَكْثُرُ عِنْدَ وُقُوعِهَا، وَتَرْتَفِعُ عِنْدَ طُلُوعِهَا، قَالَهُ أَبُو هُرَيْرَةَ، وَابْنُ زَيْدٍ[(٣)].

---

(١) «مَقَايِيسُ اللُّغَةِ» (٤/ ٤٢٥).

(٢) «تَفْسِيرُ الْمَاوَرْدِيِّ = النُّكَتُ وَالْعُيُونُ» (٦/ ٣٧٤).

(٣) «تَفْسِيرُ الطَّبَرِيِّ» (٢٤/ ٧٤٦).

* **الثَّالِثُ**: القَمَرُ إِذَا وَلَجَ أَيْ دَخَلَ فِي الظَّلَامِ، وَقَالَ القُرْطُبِيُّ: وَهُوَ أَصَحُّ(١).

۞ **وَقَالَ ابْنُ قُتَيْبَةَ**: وَيُقَالُ: الغَاسِقُ: القَمَرُ إِذَا كَسَفَ فَاسْوَدَّ. وَمَعْنَى وَقَبَ: دَخَلَ فِي الكُسُوفِ(٢).

۞ **وعَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ**: أَخَذَ رَسُولُ الله ﷺ بِيَدِي، فَنَظَرَ إِلَى الْقَمَرِ، فَقَالَ: «يَا عَائِشَةُ تَعَوَّذِي بِالله مِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ، هَذَا غَاسِقٌ إِذَا وَقَبَ.»(٣) وَفِي رِوَايَةٍ، عَنْ عَائِشَةَ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ نَظَرَ إِلَى القَمَرِ، فَقَالَ: يَا عَائِشَةُ اسْتَعِيذِي بِاللَّهِ مِنْ شَرِّ هَذَا، فَإِنَّ هَذَا هُوَ الغَاسِقُ إِذَا وَقَبَ(٤) قَالَ التِّرْمِذِيُّ: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ، وَقَالَ ابْنُ حَجَرٍ: إِسْنَادُهُ حَسَنٌ.

* **الرَّابِعُ**: أَنَّهُ اللَّيْلُ؛ لِأَنَّهُ يَخْرُجُ السِّبَاعُ مِنْ آجَامِهَا، وَالْهَوَامُّ مِنْ مَكَامِنِهَا وَيَبْعَثُ أَهْلَ الشَّرِّ عَلَى العَبَثِ وَالْفَسَادِ، قَالَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ وَمُجَاهِدٌ، وَالضَّحَاكُ، وَالْحَسَنُ، وَقَتَادَةُ وَالسُّدِّيُّ(٥)، قَالَ الشَّاعِرُ:

يَا طَيْفَ هِنْدٍ لَقَدْ أَبْقَيْتَ لِي أَرَقًا ... إِذْ جِئْتَنَا طَارِقاً وَاللَّيْلُ قَدْ غَسَقَا

---

(١) «تَفْسِيرُ الْقُرْطُبِيِّ» (٢٠/ ٢٥٧).

(٢) «غَرِيبُ الْقُرْآنِ لِابْنِ قُتَيْبَةَ ت سَعِيْد اللحّام» (ص٤٧٧).

(٣) «مُسْنَدُ أَحْمَدَ» (٤٢/ ٤٦٨ ط الرِّسَالَةُ).

(٤) «سُنَنُ التِّرْمِذِيِّ» (٥/ ٣١٠) «فَتحُ الْبَارِي» (٨/ ٧٤١).

(٥) «تَفْسِيرُ الطَّبَرِيِّ» (٢٤/ ٧٤٦).

۞ **وَقَالَ النَّحَاسُ وَابْنُ جُزَيٍّ وَالْبِقَاعِيُّ**: أَكْثَرُ أَهْلِ التَّفْسِيرِ أَنَّ الغَاسِقَ اللَّيْلُ، وَذَلِكَ لِأَنَّ ظُلْمَةَ اللَّيْلِ يَنْتَشِرُ عِنْدَهَا أَهْلُ الشَّرِّ مِنَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ، وَلِذَلِكَ قَالَ فِي الْمَثَلِ: اللَّيْلُ أَخْفَى لِلْوَيْلِ.(١)

وَرَجَّحَ الطَّبَرِيُّ الْعُمُومَ فَقَالَ: وَأَوْلَى الْأَقْوَالِ فِي ذَلِكَ عِنْدِي بِالصَّوَابِ، أَنْ يُقَالَ: إِنَّ اللهَ أَمَرَ نَبِيَّهُ ﷺ أَنْ يَسْتَعِيذَ ﴿ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ ﴾ [الفلق: ٣]

﴿ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ ﴾ وَهُوَ الَّذِي يُظْلِمُ، يُقَالُ: قَدْ غَسَقَ اللَّيْلُ يَغْسُقُ غُسُوقًا: إِذَا أَظْلَمَ.

﴿إِذَا وَقَبَ ﴾ يَعْنِي: إِذَا دَخَلَ فِي ظَلَامِهِ؛ وَاللَّيْلُ إِذَا دَخَلَ فِي ظَلَامِهِ غَاسِقٌ، وَالنَّجْمُ إِذَا أَفَلَ غَاسِقٌ، وَالْقَمَرُ غَاسِقٌ إِذَا وَقَبَ، وَلَمْ يُخَصِّصْ بَعْضَ ذَلِكَ بَلْ عَمَّ الْأَمْرُ بِذَلِكَ، فَكُلُّ غَاسِقٌ(٢).

---

(١) «إِعْرَابُ الْقُرْآنِ لِلنَّحَاسِ» (٥/ ١٩٧) «التَّسْهِيلُ لِعُلُومِ التَّنْزِيلِ» (٢/ ٥٢٦) «نَظْمُ الدُّرَرِ» (٢٢/ ٤١١).

(٢) «تَفْسِيرُ الطَّبَرِيِّ» (٢٤/ ٧٤٩).

﴿إِذَا وَقَبَ﴾

۞ **قَالَ ابْنُ فَارِسٍ:** (وَقَبَ) الْوَاوُ وَالْقَافُ وَالْبَاءُ: كَلِمَةٌ تَدُلُّ عَلَى غَيْبَةِ شَيْءٍ فِي مَغَابٍ. يُقَالُ وَقَبَ الشَّيْءُ: دَخَلَ فِي وَقْبَةٍ، وَهِيَ كَالنُّقْرَةِ فِي الشَّيْءِ(١).

۞ **وَقَالَ الزَّجَاجُ:** (إِذَا وَقَبَ) إِذَا دَخَلَ(٢).

۞ **وَقَالَ الطَّبَرِيُّ وَابْنُ عَطِيَّةَ:** الْمَعْرُوفُ مِنْ كَلَامِ الْعَرَبِ فِي مَعْنَى وَقَبَ: دَخَلَ(٣).

فَعَلَى تَأْوِيلِهِ أَنَّهُ اللَّيْلُ فِي قَوْلِهِ (إِذَا وَقَبَ) أَرْبَعَةُ تَأْوِيلَاتٍ:

* **أَحَدُهَا:** إِذَا أَظْلَمَ، قَالَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ(٤).

* **الثَّانِي:** اللَّيْلُ إِذَا أَقْبَلَ وَدَخَلَ، قَالَهُ الْحَسَنُ وَمُجَاهِدٌ وَمُحَمَّدُ ابْنُ كَعْبٍ(٥).

۞ **وَقَالَ مُجَاهِدٌ:** اللَّيْلُ إِذَا دَخَلَ فِي كُلِّ شَيْءٍ وَأَظْلَمَ»(٦).

---

(١) «مَقَايِيسُ اللُّغَةِ» (٦/ ١٣١).

(٢) «مَعَانِي الْقُرْآنِ وَإِعْرَابُهُ لِلزَّجَاجِ» (٥/ ٣٧٩).

(٣) «تَفْسِيرُ الطَّبَرِيِّ» (٢٤/ ٧٤٧) «تَفْسِيرُ الْمَاوَرْدِيِّ» (٦/ ٣٧٦) «الْمُحَرَّرُ الْوَجِيزُ فِي تَفْسِيرِ الْكِتَابِ الْعَزِيزِ» (٥/ ٥٣٨).

(٤) «تَفْسِيرُ الْمَاوَرْدِيِّ = النُّكَتُ وَالْعُيُونُ» (٦/ ٣٧٥).

(٥) «تَفْسِيرُ الثَّعْلَبِي = الْكَشْفُ وَالْبَيَانُ عَنْ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ» (٣٠/ ٥٤٠).

(٦) «صَحِيحُ الْبُخَارِيِّ» (٦/ ١٨١).

* **الثَّالِثُ**: إِذَا ذَهَبَ، قَالَهُ قَتَادَةُ.[١] وَاعْتَرَضَ عَلَيْهِ الطَّبَرِيُّ، وَقَالَ النَّحَاسُ قَوْلُ قَتَادَةَ: وَقَبَ ذَهَبَ، لَا يُعْرَفُ[٢].

* **الرَّابِعُ**: إِذَا سَكَنَ، قَالَهُ اليَمَانُ بْنُ رِئَابٍ[٣].

مَا هُو السَّبَبُ الَّذِي لِأَجْلِهِ أَمَرَ اللهُ بِالِاسْتِعَاذَةِ مِنْ شَرِّ اللَّيْلِ، وَشَرِّ القَمَرِ إِذَا وَقَبَ؟

أَمَّا الْوُقُوبُ؛ فَهُوَ الدُّخُولُ فِي شَيْءٍ آخَرَ بِحَيْثُ يَغِيبُ عَنِ العَيْنِ. وَإِنَّمَا أَمَرَ أَنْ يُتَعَوَّذَ مِنْ شَرِّ اللَّيْلِ؛ لِأَنَّ فِي اللَّيْلِ تَخْرُجُ السِّبَاعُ مِنْ آجَامِهَا وَالْهَوَامُّ مِنْ مَكَانِهَا، وَيَهْجُمُ السَّارِقُ وَالْمُكَابِرُ وَيَقَعُ الْحَرِيقُ وَيَقِلُّ فِيهِ الْغَوْثُ، وَفِي اللَّيْلِ يَنْتَشِرُ الْجِنُّ وَالشَّيَاطِينُ. وَمَعْلُومٌ أَنَّ مِنَ الشُّرُورِ مَا لَا يُمَكَّنُ مِنْهَا إِلَّا فِي ظُلْمَةِ اللَّيْلِ[٤].

وَعَنْ جَابِرٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَا تُرْسِلُوا فَوَاشِيَكُمْ[٥] وَصِبْيَانَكُمْ إِذَا غَابَتِ الشَّمْسُ حَتَّى تَذْهَبَ فَحْمَةُ الْعِشَاءِ، فَإِنَّ الشَّيَاطِينَ

---

(١) «تَفْسِيرُ الطَّبَرِيِّ» (٢٤/ ٧٤٧) «تَفْسِيرُ المَاوَرْدِيِّ» (٦/ ٣٧٦).

(٢) «إِعْرَابُ الْقُرْآنِ لِلنَّحَاسِ» (٥/ ١٩٧).

(٣) «تَفْسِيرُ الثَّعْلَبِي = الْكَشْفُ وَالْبَيَانُ عَنْ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ» (٣٠/ ٥٤٠).

(٤) «تَفْسِيرُ الْمَاتُرِيدِيِّ = تَأْوِيلَاتُ أَهْلِ السُّنَّةِ» (١٠/ ٦٥٦) «مَفَاتِيحُ الغَيْبِ أَوْ التَّفْسِيرُ الْكَبِيرُ» (٣٢/ ٣٧٤).

(٥) قَالَ أَهْلُ اللُّغَةِ: الْفَوَاشِي كُلُّ مُنْتَشِرٍ مِنَ الْمَالِ كَالْإِبِلِ وَالْغَنَمِ وَسَائِرِ الْبَهَائِمِ وَغَيْرِهَا، وَهِيَ جَمْعُ فَاشِيَةٍ؛ لِأَنَّهَا تَفْشُو، أَيْ: تَنْتَشِرُ فِي الْأَرْضِ.

تَنْبَعِـثُ إِذَا غَابَـتِ الشَّـمْسُ حَتَّـى تَذْهَـبَ فَحْمَـةُ الْعِشَـاءِ»[١].

وَفِي حَدِيـثٍ آخَـرَ: «فَـإِنَّ اللهَ يَبُـثُّ مِـنْ خَلْقِـهِ مَـا يَشَـاءُ»، وَاللَّيْـلُ هُـوَ مَحَـلُّ الظَّـلَامِ، وَفِيـهِ تَتَسَـلَّطُ شَـيَاطِينُ الإِنْـسِ والجِـنِّ مَـا لَا تَتَسَـلَّطُ بِالنَّهَـارِ؛ فَـإِنَّ النَّهَـارَ نُـورٌ، والشَّـيَاطِينُ إِنَّـمَا سُـلْطَانُهُمْ فِي الظُّلُـمَاتِ، وَالمَـوَاضِعِ المُظْلِمَـةِ، وَالمَـظَالِمِ، وعَـلَى أَهْـلِ الظُّلْمَـةِ.

وَمِـنْ هَـا هُنَـا تَعْلَـمُ الـسِّرَّ فِي الِاسْـتِعَاذَةِ بِـرَبِّ الفَلَـقِ فِي هَـذَا المَـوضِعِ؛ فَـإِنَّ الفَلَـقَ: الصُّبْـحُ الَّـذِي هُـوَ مَبْـدَأُ ظُهُـورِ النُّـورِ، وَهُـوَ الَّـذِي يَطْـرُدُ جَيْـشَ الظَّـلَامِ وَعَسْـكَرَ المُـفْسِدِينَ فِي اللَّيْـلِ، فَيَـأْوِي كُلُّ خَبِيـثٍ وُكُلُّ مُفْسِـدٍ وَكُلُّ لِـصٍّ وَكُلُّ قَاطِـعِ طَرِيـقٍ إِلَى سِرْبٍ أَوْ كِـنٍّ أَوْ غَـارٍ، وَتَـأْوِي الهَـوَامُّ إِلَى جُحُـورِهَـا، وَالشَّـيَاطِينُ الَّتِـي انْتَـشَرَتْ بِاللَّيْـلِ إِلَى أَمْكِنَتِهَـا وَمَحَالِّهَـا.

فَأَمَـرَ اللهُ تَعَـالَى عِبَـادَهُ أَنْ يَسْـتَعِيذُوا بِـرَبِّ النُّـورِ الَّـذِي يَقْهَـرُ الظُّلْمَـةَ ويُزِيلُهَـا، ويَقْهَـرُ عَسْـكَرَهَا وجَيْشَـهَا، وَلِهَـذَا يُخْـبِرُ سُـبْحَانَهُ فِي كُلِّ كِتَـابٍ أَنَّـهُ يُخْـرِجُ عِبَـادَهُ مِـنَ الظُّلُـمَاتِ إِلَى النُّـورِ، وَيَـدَعُ الكُفَّـارَ فِي ظُلُـمَاتِ كُفْرِهِـمْ قَـالَ تَعَـالَى: ﴿ ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ ﴾ [البقـرة: ٢٥٧][٢]. وَأَسْـنَدَ الشَّرَّ إِلَيْهِ لِمُلَابَسَتِهِ لَهُ مِنْ حُدُوثِهِ فِيهِ[٣].

---

(١) «صَحِيحُ مُسْلِمٍ» (٣/ ١٥٩٥).

(٢) «بَدَائِعُ الْفَوَائِدِ ط عَالَمُ الْفَوَائِدِ» (٢/ ٧٣٤).

(٣) «الْكَشَّافُ عَنْ حَقَائِقِ غَوَامِضِ التَّنْزِيلِ» (٤/ ٨٢١).

وَأَنْشَدَ ابْنُ قَيْسٍ

إِنَّ هَـذَا اللَّيْـلَ قَـدْ غَسَـقَا وَاشْـتَكَيْتُ الْـهَمَّ وَالْأَرَقَـا

۞ وَقَالَ الزَّجَّاجُ: (غَاسِقٍ) يُعْنَى بِهِ اللَّيْلُ. وَقِيلَ لِلَّيْلِ غَاسِقٌ - وَاللَّهُ أَعْلَمُ - لِأَنَّهُ أَبْرَدُ مِنَ النَّهَارِ. وَالْغَاسِقُ البَارِدُ.[(١)] وَعَلَيهِ حَمَلَ ابْنُ عَبَّاسٍ قَوْلَهُ تَعَالَى، وَقَوْلَهُ ﴿هَٰذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ﴾ [ص: ٥٧] وَقَوْلَهُ: ﴿لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا ﴿٢٤﴾ إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا﴾ [النبأ: ٢٤ - ٢٥] قَالَ: هُوَ الزَّمْهَرِيرُ يَحْرِقُهُمْ بِبَرْدِهِ كَمَا تَحْرِقُهُمُ النَّارُ بِحَرِّهَا.

وَلَا تَنَافِيَ بَيْنَ القَوْلَيْنِ: فَإِنَّ اللَّيلَ بارِدٌ مُظْلِمٌ، فَمَنْ ذَكَرَ بَرْدَهُ فَقَطْ أَوْ ظُلْمَتَهُ فَقَطْ؛ اقْتَصَرَ عَلَى أَحَدِ وصْفَيْهِ، والظُّلْمَةُ فِي الآيَةِ أَنْسَبُ لِمَكَانِ الاسْتِعَاذَةِ؛ فَإِنَّ الشَّرَّ الَّذِي يَنْشَأُ بِسَبَبِ الظُّلْمَةِ أَوْلَى بِالاسْتِعَاذَةِ مِنَ البَرْدِ الَّذِي فِي اللَّيلِ، وَلِهَذَا اسْتَعَاذَ بِرَبِّ الفَلَقِ الَّذِي هُوَ الصُّبْحُ وَالنُّورُ، مِنْ شَرِّ الغَاسِقِ الَّذِي هُوَ الظُّلْمَةُ، فَنَاسَبَ الوَصْفُ المُسْتَعَاذُ بِهِ لِلْمَعْنَى المَطْلُوبِ بِالاسْتِعَاذَةِ[(٢)].

۞ وَقَالَ البِقَاعِيُّ: شَرُّ الْأَشْيَاءِ الظَّلَامُ، فَإِنَّهُ أَصْلُ كُلِّ فَسَادٍ، وَكَانَتْ شَرَارَتُهُ مَعَ ذَلِكَ وَشَرَارَةُ السِّحْرِ وَالْحَسَدِ خَفِيَّةٌ، خَصَّهَا بِالذِّكْرِ مِنْ بَيْنِ مَا عَمَّهُ الخَلْقُ؛ لِأَنَّ الخَفِيَّ يَأْتِي مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ الإِنْسَانُ فَيَكُونُ أَضَرَّ[(٣)].

---

(١) «مَعَانِي الْقُرْآنِ وَإِعْرَابُهُ لِلزَّجاجِ» (٥/ ٣٧٩).

(٢) «بَدَائِعُ الْفَوَائِدِ» (٢/ ٢١٧).

(٣) «نَظْمُ الدُّرَرِ» (٢٢/ ٤٠٩).

فَـإِنْ قِيـلَ: فَـمَا تَقُولُونَ فِيـمَا رَوَاهُ التِّرْمِـذِيُّ عَنْ عَائِشَـةَ قَالَتْ: أَخَـذَ النَّبِيُّ ﷺ بِيَـدِي فَنَظَـرَ إِلَى القَمَرَ فَقَالَ: «يا عَائِشَـةُ اسْـتَعِيذِي بالله مِـنْ شَرِّ هَذا؛ فَـإِنَّ هَذَا هُوَ الغَاسِـقُ إِذَا وَقَـبَ»، وَهَذَا أَوْلَى مِنْ كُلِّ تَفْسِـيرٍ؛ فَيَتَعَيَّنُ المَـصِيرُ إِلَيْهِ؟

قِيـلَ: هَـذَا التَّفْسِـيرُ حَـقٌّ، وَلَا يُنَاقِـضُ التَّفْسِـيرَ الأَوَّلَ، بَـلْ يُوافِقُـهُ وَيَشْـهَدُ بِصِحَّتِـهِ؛ فَـإِنَّ اللهَ تَعَـالَى قَـالَ: ﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِۖ فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً﴾ [الإِسْرَاء: ١٢]؛ فَالقَمَـرُ هُـوَ آيَـةُ اللَّيْـلِ وَسُـلْطَانُهُ، فَهُـوَ أَيْضًـا: غَاسِـقٌ إِذَا وَقَـبَ، كَـمَا أَنَّ اللَّيْـلَ غَاسِـقٌ إِذَا وَقَـبَ، وَالنَّبِـيُّ ﷺ أَخْـبَرَ عَـنِ القَمَـرِ بِأَنَّـهُ غَاسِـقٌ إِذَا وَقَـبَ، وَهَـذَا خَـبَرُ صِـدْقٍ، وَهُـوَ أَصْـدَقُ الخَـبَرِ، وَلَمْ يَنْـفِ عَـنِ اللَّيْـلِ اسْـمَ الغَاسِـقِ إِذَا وَقَـبَ، وَتَخْصِيـصُ النَّبِـيِّ ﷺ لَـهُ بِالذِّكْـرِ لَا يَنْفِـي شُـمُولَ الِاسْـمِ لغَـيرِهِ. وَنَظِـيرُ هَـذَا قَولُـهُ فِي المَـسْجِدِ الَّـذِي أُسِّـسَ عَـلَى التَّقْـوَى، وَقَـدْ سُـئِلَ عَنْـهُ فَقَـالَ: «هُـوَ مَسْـجِدِي هَـذَا»، وَمَعْلُـومٌ أَنَّ هَـذَا لَا يَنْفِـي كَـونَ مَسْـجِدِ قُبَـاءٍ مُؤَسَّـسًا عَـلَى التَّقْـوى، بَـلْ ثَبَـتَ أَنَّ مَسْـجِدَهُ أَحَـقُّ بِالدُّخُـولِ فِي هَـذَا الِاسْـمِ، وَأَنَّـهُ أَحَـقُّ بِـأَنْ يَكُـونَ مُؤَسَّـسًا عَـلَى التَّقْـوَى مِـنْ ذَاكَ[1].

(١) «بَدَائِعُ الْفَوَائِدِ» (٢/ ٢١٧).

﴿ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ﴾ [الفلق: ٤]

﴿ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ﴾ [الفلق: ٤] وَمِنْ شَرِّ السَّوَاحِرِ اللَّاتِي يَنْفُثْنَ فِي عُقَدِ الْخَيْطِ، حِينَ يَرْقِينَ عَلَيْهَا.

(نَفَثَ) النُّونُ وَالْفَاءُ وَالثَّاءُ أَصْلٌ صَحِيحٌ يَدُلُّ عَلَى خُرُوجِ شَيْءٍ مِنْ فَمٍ أَوْ غَيْرِهِ بِأَدْنَى جَرْسٍ. مِنْهُ نَفَثَ الرَّاقِي رِيقَهُ، وَهُوَ أَقَلُّ مِنَ التَّفْلِ[١].

النَّفْثُ وَالتَّفْلُ:

تَنْفُثُ: تَتْفُلَ بِلَا رِيقٍ كَأَنَّهُ نَفَخَ كَمَا يَفْعَلُ كُلُّ مَنْ يَرْقِي[٢].

وَالنَّفْثُ: النَّفْخُ فِي الْعُقَدِ بِلَا رِيقٍ، وَالتَّفْلُ: النَّفْخُ فِيهَا بِرِيقٍ[٣].

---

(١) «مَقَايِيسُ اللُّغَةِ» (٥/ ٤٥٧).

(٢) «مَعَانِي الْقُرْآنِ لِلْفَرَّاءِ» (٣/ ٣٠)«مَعَانِي الْقُرْآنِ وَإِعْرَابُهُ لِلزَّجَاجِ» (٥/ ٣٧٩).

(٣) «النُّكَتُ وَالْعُيُونُ» (٦/ ٣٧٦).

﴿ٱلۡعُقَدِ﴾ [الفلق: ٤]

(عَقَدَ) الْعَيْنُ وَالْقَافُ وَالدَّالُ أَصْلٌ وَاحِدٌ يَدُلُّ عَلَى شَدٍّ وَشِدَّةِ وُثُوقٍ، وَإِلَيْهِ تَرْجِعُ فُرُوعُ الْبَابِ كُلُّهَا. ﴿وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِي ٱلۡعُقَدِ﴾[الفلق: ٤]: مِنَ السَّوَاحِرِ اللَّوَاتِي يُعَقِّدْنَ فِي الْخُيُوطِ(١) وَالْعُقَدُ: جَمْعُ عُقْدَةٍ

وَالسَّاحِرُ إِذَا أَخَذَ فِي قِرَاءَةِ الرُّقْيَةِ أَخَذَ خَيْطًا، وَلَا يَزَالُ يَعْقِدُ عَلَيْهِ عَقْدًا بَعْدَ عَقْدٍ وَيَنْفُثُ فِي تِلْكَ الْعُقَدِ.

❁ **وَقَالَ الْفَرَّاءُ وَالزَّجَّاجُ:** (النَّفَّاثَاتِ) وَهُنَّ السَّوَاحِرُ يَنْفُثْنَ سِحْرَهُنَّ.

❁ **وَقَالَ الْمَاوَرْدِيُّ:** وَيُرْوَى أَنَّ فِيهِ إِحْدَى عَشْرَةَ عُقْدَةً، فَأَمَرَ بِحَلِّ الْعُقَدِ، فَكَانَ كُلَّمَا حَلَّ عُقْدَةً وَجَدَ رَاحَةً، حَتَّى حُلَّتِ الْعُقَدُ كُلُّهَا، فَكَأَنَّمَا أُنْشِطَ مِنْ عِقَالٍ، فَنَزَلَتْ عَلَيْهِ الْمُعَوِّذَتَانِ، وَهُمَا إِحْدَى عَشْرَةَ آيَةً بِعَدَدِ الْعُقَدِ، وأُمِرَ أَنْ يَتَعَوَّذَ بِهِمَا(٢).

وَذَكَرَ السُّهَيْلِيُّ أَيضًا: أَنَّ عُقَدَ السِّحْرِ كَانَتْ إِحْدَى عَشْرَةَ عُقْدَةً، فَنَاسَبَ أَنْ يَكُونَ عَدَدُ الْـمُعَوِّذَتَيْنِ إِحْدَى عَشْرَةَ آيَةً، فَانْحَلَّتْ بِكُلِّ آيَةٍ عُقْدَةٌ. أهـ.

وَقَدْ أَخْرَجَ الْبَيْهَقِيُّ فِي الدَّلَائِلِ مَعْنَى ذَلِكَ بِسَنَدٍ ضَعِيفٍ فِي الْقِصَّةِ الَّتِي ذَكَرَ فِيهَا أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ سُحِرَ وَفِي آخِرِ الْحَدِيثِ: «أَنَّهُمْ وَجَدُوا وِتْرًا فِيهِ إِحْدَى عَشْرَةَ عُقْدَةً، وَأُنْزِلَتْ سُورَةُ الْفَلَقِ وَالنَّاسِ فَجَعَلَ كُلَّمَا قَرَأَ

---

(١) «مَقَايِيسُ اللُّغَةِ» (٤/ ٨٦).

(٢) «تَفْسِيرُ الْمَاوَرْدِيِّ = النُّكَتُ وَالْعُيُونُ» (٦/ ٣٧٦).

آيـةً انْحَلَّـتْ عُقْـدَةٌ».

وَعِنْـدَ ابْـنِ سَـعْدٍ بِسَـنَدٍ مُنْقَطِـعٍ عَـنِ ابْـنِ عَبَّـاسٍ: «أَنَّ النَّبِـيَّ ﷺ بَعَـثَ عَلِيًّـا وَعَـمَّارًا فَوَجَـدَا طَلْعَـةً فِيهَـا إِحْـدَى عَـشْرَةَ عُقْـدَةً»، فَذَكَـرَ نَحْـوَهُ[١].

۞ **وقـال ابـن عطيـة:** هَـذَا النَّفْـثُ هـو عَـلى عُقَـدٍ تُعْقَـدُ في خُيُـوطٍ ونَحْوِهـا عَـلى اسْـمِ المَسْـحُورِ فَيُـؤْذَى بِذَلِـكَ، وهَـذَا الشَـأْنُ في زَمانِنـا مَوْجُـودٌ شـائِعٌ في صَحْـراءِ المَغْـرِبِ، وحَدَّثَنِـي ثِقَـةٌ أَنَّـهُ رَأى عِنْـدَ بَعْضِهِـمْ خَيْطًـا أحْمَـرَ قَـدْ عُقِـدَتْ فِيـهِ عُقَـدٌ عَـلى فُصْـلانٍ، فَمَنَعَـتْ بِذَلِـكَ رَضـاعَ أُمَّهاتِهـا، فَـكانَ إذا حَـلَّ جَـرى ذَلِـكَ الفَصِيـلُ إلى أُمِّـهِ في الحِـينِ فَرَضَـعَ، أعاذَنـا اللهُ تَعـالى مِـنْ شَرِّ السَّـحَرَةِ بِقُدْرَتِـهِ[٢] وَهَـذَا يَـدُلُّ عَـلى أَنَّ تَأْثِـيرَ السِّـحْرِ عَـلَى الحَيَـوَانِ كَـما يَقَـعُ عَـلَى الْإِنْسَـانِ.

وَقَالَ الشَّاعِرُ:

أَعُوذُ بِرَبِّـي مِـنَ النَّـافِثَا ... تِ في عِضَـهِ العَـاضِهِ المُعْضِهِ

وَرُبَّما فَعَلَ قَوْمٌ في الرُّقَى مِثْلَ ذَلِكَ، طَلَبًا لِلشِّفاءِ، كَما قالَ مُتَمِّمُ بْنُ نُوَيْرَةَ:

نَفَثْتُ في الخَيْطِ شَبِيـهِ الرُّقَـى ... مِـنْ خَشْيَـةِ الجِنَّـةِ والحَاسِدِ

۞ **وَعَـنِ الْـحَسَنِ، عَـنْ أَبِي هُرَيْـرَةَ قَـالَ:** قَـالَ رَسُـولُ اللَّـهِ ﷺ «مَـنْ عَقَدَ عُقْـدَةً، ثُـمَّ نَفَـثَ فِيهَـا فَقَـدْ سَـحَرَ، وَمَـنْ سَـحَرَ فَقَـدْ أَشْرَكَ، وَمَـنْ تَعَلَّـقَ شَـيْئًا

---

(١) «التَّلْخِيصُ الحَبِيرُ ط قُرْطُبَة» (٤/ ٧٧).

(٢) «الْـمُحَرَّرُ الْوَجِيزُ فِي تَفْسِيرِ الْكِتَابِ الْعَزِيزِ» (٥/ ٥٣٩).

وُكِلَ إِلَيْـهِ»[1].

۞ وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ فِي تَفْسِيرِ هَذِهِ الآيَةِ: «مَا خَالَطَ السِّحْرَ مِنَ الرُّقَى»[2].

۞ وَعَـنِ ابْـنِ طَـاوُوسٍ، عَـنْ أَبِيـهِ، قَـالَ: «مَـا مِـنْ شَيْءٍ أَقْـرَبَ إِلَى الـشِّرْكِ مِـنْ رُقْيَةِ الْـمَجَانِينِ»[3].

۞ عَنْ مَعْمَرٍ، قَالَ: تَلَا قَتَادَةُ: ﴿ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّـٰثَـٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ﴾ [الفلق: ٤] ثُمَّ قَالَ: «إِيَّاكُمْ وَمَا خَالَطَ السِّحْرَ مِنْ هَذِهِ الرُّقَى»[4].

۞ وَقَـالَ مُجَاهِـدٌ: «الرُّقَـى فِي عُقَـدِ الْخَيْـطِ» وَقَـالَ عِكْرِمَـةُ: «الْأَخْـذُ فِي عُقَـدِ الْخَيْـطِ»[5].

۞ قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ: «النَّفَّاثَاتِ» السَّحَرَةُ يَنْفُثْنَ، قَالَ عَنْتَرَةُ:

فَإِنْ يَبْـرَأْ فَلَـمْ أَنْفُـثْ عَلَيْهِ ... وإِنْ يُفْقَـدْ فَحَـقٌّ لَـهُ الفُقُودُ[6]

(١) «سُنَنُ النَّسَائِيِّ» (٧/ ١١٢) وَهُوَ مُنْقَطِعٌ كَمَا قَالَ الذَّهَبِيُّ.
(٢) «تَفْسِيرُ الطَّبَرِيِّ» (٢٤/ ٧٥٠).
(٣) «تَفْسِيرُ الطَّبَرِيِّ» (٢٤/ ٧٥٠).
(٤) «تَفْسِيرُ الطَّبَرِيِّ» (٢٤/ ٧٥٠).
(٥) «تَفْسِيرُ الطَّبَرِيِّ» (٢٤/ ٧٥٠).
(٦) «مَجَازُ الْقُرْآنِ» (٢/ ٣١٧).

حُكْمُ الِاسْتِعَانَةِ بِالرُّقَى وَالْعَوْذِ؟

اخْتَلَفُوا فِي هَذِهِ الْـمَسْأَلَةِ عَلَى قَوْلَيْنِ: -

الْقَـوْلُ الْأَوَّلُ: يَجُـوزُ الِاسْـتِعَانَةُ بِالرُّقَـى وَالْعَـوْذِ، وَاسْـتَدَلُّوا عَـلَى ذَلِـكَ بِأُمُــورٍ: -

* **أَحَدُهَـا**: عَـنْ أَبِي سَـعِيدٍ، أَنَّ جِبْرَائِيـلَ، أَتَـى النَّبِـيَّ ﷺ، فَقَـالَ: يَـا مُحَمَّـدُ اشْـتَكَيْتَ؟ قَـالَ: «نَعَـمْ»، قَـالَ: «بِسْـمِ اللَّـهِ أَرْقِيـكَ، مِـنْ كُلِّ شَيْءٍ يُؤْذِيـكَ، مِنْ شَرِّ كُلِّ نَفْسٍ أَوْ عَيْنٍ، أَوْ حَاسِـدٍ اللَّـهُ يَشْـفِيكَ، بِسْـمِ اللَّـهِ أَرْقِيكَ»[١].

* **وَثَانِيهَـا**: عَـنِ ابْـنِ عَبَّـاسٍ، عَـنِ النَّبِـيِّ ﷺ، قَـالَ: « مَـنْ عَـادَ مَرِيضًـا، لَمْ يَحْـضُرْ أَجَلُـهُ فَقَـالَ عِنْـدَهُ سَـبْعَ مِـرَارٍ: أَسْـأَلُ اللَّهَ الْعَظِيـمَ رَبَّ الْعَـرْشِ الْعَظِيـمِ أَنْ يَشْـفِيَكَ، إِلَّا عَافَـاهُ اللَّـهُ مِـنْ ذَلِكَ الْـمَرَضِ»[٢].

* **وَثَالِثُهَـا**: عَـنْ عَبْـدِ العَزِيـزِ بْـنِ صُهَيْـبٍ، قَـالَ: دَخَلْـتُ أَنَـا وَثَابِـتٌ عَـلَى أَنَـسِ بْـنِ مَالِـكٍ، فَقَـالَ ثَابِـتٌ: يَـا أَبَـا حَمْـزَةَ، اشْـتَكَيْتُ، فَقَـالَ أَنَـسٌ: أَلَا أَرْقِيكَ بِرُقْيَـةِ رَسُـولِ اللَّـهِ ﷺ؟ قَـالَ: بَـلَى، قَـالَ: «اللَّهُـمَّ رَبَّ النَّـاسِ، مُذْهِـبَ البَاسِ، اشْـفِ أَنْـتَ الشَّـافِي، لَا شَـافِيَ إِلَّا أَنْـتَ، شِـفَاءً لَا يُغَـادِرُ سَـقَمًا»[٣].

---

(١) «سُنَنُ ابْنِ مَاجَه» (٢/ ١١٦٤).

(٢) «سُنَنُ أَبِي دَاوُدَ» (٥/ ٢٢) «سُنَنُ التِّرْمِذِيِّ» (٣/ ٤٧٩) وقال الترمذي: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ، لَا نَعْرِفُهُ إِلَّا مِنْ حَدِيثِ الْمِنْهَالِ بْنِ عَمْرٍو.

(٣) «صَحِيحُ الْبُخَارِيِّ» (٧/ ١٣٢).

* **وَرَابِعُهَا:** وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُعَوِّذُ الْحَسَنَ، وَالْحُسَيْنَ، يَقُولُ: «أُعِيذُكُمَا بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّةِ، مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ وَهَامَّةٍ، وَمِنْ كُلِّ عَيْنٍ لَامَّةٍ، ثُمَّ يَقُولُ: كَانَ أَبُوكُمْ يُعَوِّذُ بِهَا إِسْمَاعِيلَ، وَإِسْحَاقَ». قَالَ أَبُو دَاوُدَ: هَذَا دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ الْقُرْآنَ لَيْسَ بِمَخْلُوقٍ[(١)].

وَخَامِسُهَا: عَنْ عُثْمَانَ بْنِ أَبِي الْعَاصِ الثَّقَفِيِّ، أَنَّهُ شَكَا إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ وَجَعًا يَجِدُهُ فِي جَسَدِهِ مُنْذُ أَسْلَمَ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «ضَعْ يَدَكَ عَلَى الَّذِي تَأَلَّمَ مِنْ جَسَدِكَ، وَقُلْ بِاسْمِ اللهِ ثَلَاثًا، وَقُلْ سَبْعَ مَرَّاتٍ أَعُوذُ بِاللهِ وَقُدْرَتِهِ مِنْ شَرِّ مَا أَجِدُ وَأُحَاذِرُ»[(٢)].

الْقَوْلُ الثَّانِي: وَمِنَ النَّاسِ مَنْ مَنَعَ مِنَ الرُّقَى، لِمَا رُوِيَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «يَدْخُلُ الجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِي سَبْعُونَ أَلْفًا بِغَيْرِ حِسَابٍ، هُمُ الَّذِينَ لَا يَسْتَرْقُونَ، وَلَا يَتَطَيَّرُونَ، وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ»[(٣)]، وَعَنِ الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَنِ اكْتَوَى أَوِ اسْتَرْقَى، فَقَدْ بَرِئَ مِنَ التَّوَكُّلِ»[(٤)] وَقَالَ التِّرْمِذِيُّ: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.

---

(١) «سُنَنُ أَبِي دَاوُدَ» (٧/ ١١٧) «سُنَنُ التِّرْمِذِيِّ» (٣/ ٤٦٤) وَقَالَ التِّرْمِذِيُّ: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.

(٢) «صَحِيحُ مُسْلِمٍ» (٤/ ١٧٢٨).

(٣) «صَحِيحُ الْبُخَارِيِّ» (٨/ ١٠٠) «صَحِيحُ مُسْلِمٍ» (١/ ١٩٨).

(٤) «سُنَنُ التِّرْمِذِيِّ ت بَشَّارٍ» (٣/ ٤٦١) «سُنَنُ ابْنِ مَاجَه ت الْأَرْنَاؤُوط» (٤/ ٥٣١).

وَأُجِيبَ عَنْهُ بِأَنَّهُ يُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ النَّهْيُ عَنِ الرُّقَى الْـمَجْهُولَةِ الَّتِي لَا تُعْرَفُ حَقَائِقُهَا، أَمَّا مَا كَانَ لَهُ أَصْلٌ مَوْثُوقٌ؛ فَلَا نَهْيَ عَنْهُ[١].

وَقَدْ يُقَالُ فَارِقٌ بَيْنَ طَلَبِ الرُّقْيَةِ وَهُوَ الْاسْتِرْقَاءُ فَهَذَا الْأُولَى مَنْعُهُ، وَأَمَّا الرُّقْيَةُ فَقَدْ رَقَى النَّبِيُّ وَرُقِيَ ﷺ.

وَأَمَّا مَا جَاءَ عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: «لَا رُقْيَةَ إِلا مِنْ عَيْنٍ، أَوْ حُمَّةٍ»[٢] وَالْـمُرَادُ مِنَ الْحُمَّةِ سُمُّ ذَوَاتِ السُّمُومِ

۞ قَالَ الْبَغَوِيُّ: لَمْ يُرِدْ بِهِ نَفْيَ جَوَازِ الرُّقْيَةِ فِي غَيْرِهِمَا، بَلْ تَجُوزُ الرُّقْيَةُ بِذِكْرِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِي جَمِيعِ الْأَوْجَاعِ وَمَعْنَى الْحَدِيثِ: لَا رُقْيَةَ أَوْلَى وَأَنْفَعَ مِنْهُمَا.

وَقَالَ: وَالْـمَنْهِيُّ مِنَ الرُّقَى مَا كَانَ فِيهِ شِرْكٌ، أَوْ كَانَ يُذْكَرُ مَرَدَةُ الشَّيَاطِينِ، أَوْ مَا كَانَ مِنْهَا بِغَيْرِ لِسَانِ الْعَرَبِ، وَلا يُدْرَى مَا هُوَ، وَلَعَلَّهُ يَدْخُلُهُ سِحْرٌ، أَوْ كُفْرٌ، فَأَمَّا مَا كَانَ بِالْقُرْآنِ، وَبِذِكْرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَإِنَّهُ جَائِزٌ مُسْتَحَبٌّ، فَإِنَّ النَّبِيَّ ﷺ، «كَانَ يَنْفُثُ عَلَى نَفْسِهِ بِالْـمُعَوِّذَاتِ».

۞ وَقَالَ ﷺ لِلَّذِي رَقَى بِفَاتِحَةِ الْكِتَابِ عَلَى غَنَمٍ: «مِنْ أَيْنَ عَلِمْتُمْ أَنَّهَا رُقْيَةٌ؟ أَحْسَنْتُمْ، اقْتَسِمُوا وَاضْرِبُوا لِي مَعَكُمْ بِسَهْمٍ»، وَقَالَ: إِنَّ أَحَقَّ مَا أَخَذْتُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا كِتَابُ اللَّهِ.

وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُعَوِّذُ الْحَسَنَ وَالْحُسَيْنِ،» أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّةِ[٣].

---

(١) «تَفْسِيرُ الرَّازِيِّ = مَفَاتِيحُ الغَيْبِ أَوْ التَّفْسِيرُ الكَبِيرُ» (٣٢/ ٣٧٠).

(٢) «صَحِيحُ الْبُخَارِيِّ» (٧/ ١٢٦) «صَحِيحُ مُسْلِمٍ» (١/ ١٩٩).

(٣) «شَرْحُ السُّنَّةِ لِلْبَغَوِيِّ» (١٢/ ١٥٩).

حُكْمُ التَّعَالِيقِ:

عَنْ زَيْنَبَ امْرَأَةِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ الرُّقَى، وَالتَّمَائِمَ، وَالتِّوَلَةَ شِرْكٌ»(١)، وَالتَّمَائِمُ، وَالتِّوَلَةُ مِمَّا يُعَلَّقُ.

قَالَ الْخَطَّابِيُّ: التِّوَلَةُ يُقَالُ: إِنَّهُ ضَرْبٌ مِنَ السِّحْرِ؛ وَقَالَ الْأَصْمَعِيُّ وَهُوَ الَّذِي يُحَبِّبُ الْمَرْأَةَ إِلَى زَوْجِهَا(٢).

وَالتَّمَائِمُ: جَمْعُ التَّمِيمَةِ، وَهِيَ خَرَزَاتٌ كَانَتِ الْعَرَبُ تُعَلِّقُهَا عَلَى أَوْلادِهِمْ يَتَّقُونَ بِهَا الْعَيْنَ بِزَعْمِهِمْ، فَأَبْطَلَهَا الشَّرْعُ(٣).

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُكَيْمٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «مَنْ تَعَلَّقَ شَيْئًا وُكِلَ إِلَيْهِ أَوْ عَلَيْهِ»(٤).

وَعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ أَنَّهُ رَأَى عَلَى أُمِّ وَلَدِهِ تَمِيمَةً مَرْبُوطَةً بِعَضُدِهَا، فَجَذَبَهَا جَذْبًا عَنِيفًا فَقَطَعَهَا(٥)، وَمِنْهُمْ مَنْ جَوَّزَهُ، وسُئِلَ الْبَاقِرُ عَنِ

---

(١) «سُنَنُ أَبِي دَاوُدَ ت الْأَرْنَاؤُوط» (٦/ ٣١).

(٢) «مَعالِمُ السُّنَنِ» (٤/ ٢٢٦).

(٣) «شَرْحُ السُّنَةِ لِلْبَغَوِيِّ» (١٢/ ١٥٨).

(٤) وَعَبْدُ اللهِ بْنُ عُكَيْمٍ لَمْ يَسْمَعْ مِنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَكَانَ فِي زَمَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: كَتَبَ إِلَيْنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «سُنَنُ التِّرْمِذِيِّ ت بَشَّارٌ» (٣/ ٤٧١).

(٥) «الْمِنْهَاجُ فِي شُعَبِ الْإِيمَانِ» (٢/ ٣٩).

التَّعْوِيذِ يُعَلَّقُ عَلَى الصِّبْيَانِ فَرَخَّصَ فِيهِ. وَقَالَ حَمَّادٌ: كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَكْرَهُ كُلَّ شَيْءٍ يُعَلَّقُ عَلَى صَغِيرٍ أَوْ كَبِيرٍ، وَيَقُولُ: هُوَ مِنَ التَّمَائِمِ[١].

وَقَالَتْ عَائِشَةُ: لَيْسَ التَّمِيمَةُ مَا يُعَلَّقُ بَعْدَ نُزُولِ الْبَلَاءِ، وَلَكِنَّ التَّمِيمَةَ مَا عُلِّقَ قَبْلَ نُزُولِ الْبَلَاءِ، لِيَدْفَعَ بِهِ مَقَادِيرَ اللَّهِ[٢].

وَقَالَ عَطَاءٌ: لَا يُعَدُّ مِنَ التَّمَائِمِ مَا يُكْتَبُ مِنَ الْقُرْآنِ[٣].

وَسُئِلَ سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيِّبِ عَنِ الصُّحُفِ الصِّغَارِ يُكْتَبُ فِيهِ الْقُرْآنُ، فَيُعَلَّقُ عَلَى النِّسَاءِ وَالصِّبْيَانِ؟ فَقَالَ: لَا بَأْسَ بِذَلِكَ إِذَا جُعِلَ فِي كِيرٍ مِنْ وَرَقٍ، أَوْ حَدِيدٍ، أَوْ يُخَرَّزُ عَلَيْهِ[٤].

وَاخْتَلَفُوا فِي النَّفْثِ أَيْضًا:

فَرُوِيَ عَنْ عَائِشَةَ أَنَّهَا قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَنْفُثُ عَلَى نَفْسِهِ إِذَا اشْتَكَى بِالْمُعَوِّذَاتِ وَيَمْسَحُ بِيَدِهِ، فَلَمَّا اشْتَكَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَجَعَهُ الَّذِي تُوُفِّيَ فِيهِ طَفِقْتُ أَنْفُثُ عَلَيْهِ بِالْمُعَوِّذَاتِ الَّتِي كَانَ يَنْفُثُ بِهَا عَلَى نَفْسِهِ.

وَعَنْهُ: «أَنَّهُ كَانَ إِذَا أَخَذَ مَضْجَعَهُ؛ نَفَثَ فِي يَدَيْهِ وَقَرَأَ فِيهِمَا بِالْمُعَوِّذَاتِ، ثُمَّ مَسَحَ بِهِمَا جَسَدَهُ»[٥].

(١) «شَرْحُ السُّنَةِ لِلْبَغَوِيِّ» (١٢/ ١٥٨).
(٢) «شَرْحُ السُّنَةِ لِلْبَغَوِيِّ» (١٢/ ١٥٨).
(٣) «شَرْحُ السُّنَةِ لِلْبَغَوِيِّ» (١٢/ ١٥٨).
(٤) «شَرْحُ السُّنَةِ لِلْبَغَوِيِّ» (١٢/ ١٥٨).
(٥) «صَحِيحُ الْبُخَارِيِّ» (٦/ ١١) «صَحِيحُ مُسْلِمٍ» (٤/ ١٧٢٣).

۞ **وَمِنْهُمْ مَنْ أَنْكَرَ النَّفْثَ، قَالَ عِكْرِمَةُ:** لَا يَنْبَغِي لِلرَّاقِي أَنْ يَنْفُثَ وَلَا يَمْسَحَ وَلَا يَعْقِدَ. وَعَنْ إِبْرَاهِيمَ قَالَ: كَانُوا يَكْرَهُونَ النَّفْثَ فِي الرُّقَى، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: دَخَلْتُ عَلَى الضَّحَّاكِ وَهُوَ وَجِيعٌ فَقُلْتُ: أَلَا أُعَوِّذُكَ يَا أَبَا مُحَمَّدٍ؟ قَالَ: بَلَى وَلَكِنْ لَا تَنْفُثْ، فَعَوَّذْتُهُ بِالْمُعَوِّذَتَيْنِ. وَقَالَ الْحَلِيمِيُّ: الَّذِي رُوِيَ عَنْ عِكْرِمَةَ أَنَّهُ يَنْبَغِي لِلرَّاقِي أَنْ لَا يَنْفُثَ وَلَا يَمْسَحَ وَلَا يَعْقِدَ، فَكَأَنَّهُ ذَهَبَ فِيهِ إِلَى أَنَّ اللهَ تَعَالَى جَعَلَ النَّفْثَ فِي الْعُقَدِ مِمَّا يُسْتَعَاذُ مِنْهُ، فَوَجَبَ أَنْ يَكُونَ مَنْهِيًّا عَنْهُ إِلَّا أَنَّ هَذَا ضَعِيفٌ؛ لِأَنَّ النَّفْثَ فِي الْعُقَدِ إِنَّمَا يَكُونُ مَذْمُومًا إِذَا كَانَ سِحْرًا مُضِرًّا بِالْأَرْوَاحِ وَالْأَبْدَانِ، فَأَمَّا إِذَا كَانَ هَذَا النَّفْثُ لِإِصْلَاحِ الْأَرْوَاحِ وَالْأَبْدَانِ وَجَبَ أَنْ لَا يَكُونَ حَرَامًا، وَلَا يُقَاسُ مَا يَنْفَعُ بِمَا يَضُرُّ[1].

وَإِذَا اخْتَلَفُوا فَالْحَاكِمُ بَيْنَهُمُ السُّنَّةُ. رَوَتْ عَائِشَةُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَنْفُثُ فِي الرُّقْيَةِ، رَوَاهُ الْأَئِمَّةُ[2].

فَإِنْ قِيلَ: فَالسِّحْرُ يَكُونُ مِنَ الذُّكُورِ والإِنَاثِ، فَلِمَ خَصَّ الِاسْتِعَاذَةَ مِنَ الإِنَاثِ دُونَ الذُّكُورِ؟

قِيلَ فِي جَوَابِهِ: إِنَّ هَذَا خَرَجَ عَلَى السَّبَبِ الوَاقِعِ، وَهُوَ أَنَّ بَنَاتِ لَبِيدِ ابْنِ أَعْصَمَ سَحَرْنَ النَّبِيَّ ﷺ.

---

(١) «الْمِنْهَاجُ فِي شُعَبِ الْإِيمَانِ» (٣/ ٣٣٥) «مَفَاتِيحُ الغَيْبِ أَوْ التَّفْسِيرُ الْكَبِيرُ» (٣٢/ ٣٧٠).

(٢) «المنهاج في شعب الإيمان» (٢/ ٤٠) «تَفْسِيرُ الْقُرْطُبِيِّ» (٢٠/ ٢٥٨).

هَـذَا جَـوَابُ أَبِي عُبَيْـدَةَ وَغَـيْرِه، وَلَيْـسَ هَـذَا بِسَـدِيدٍ؛ فَـإِنَّ الَّـذِي سَـحَرَ النَّبِـيَّ ﷺ هُـوَ لُبِيـدُ بْـنُ أَعْصَـمَ نَفْسُـهُ كَـمَا جَـاءَ فِي (الصَّحِيـحِ).

وَالجَـوَابُ المُحَقَّـقُ: أَنَّ النَّفَّاثَـاتِ هُنَـا هُـنَّ الأَرْوَاحُ وَالأَنْفُـسُ النَّفَّاثَـاتِ لَا النِّسَـاءُ النَّفَّاثَـاتُ؛ لِأَنَّ تَأْثِـيرَ السِّـحْرِ إِنَّـمَا هُـوَ مِـنْ جِهَـةِ الأَنْفُـسِ الخَبِيثَـةِ وَالأَرْوَاحِ الشِّرِّيـرَةِ[١].

📖 وَأَنَّثَ النَّفَّاثَاتِ؛ لِوُجُوهٍ:

أَحَدُهَـا: أَنَّ هَـذِهِ الصِّنَاعَـةَ إِنَّـمَا تُعْـرَفُ بِالنِّسَـاءِ؛ لِأَنَّهُـنَّ يَعْقِـدْنَ وَيَنْفُثْـنَ؛ وَذَلِـكَ لِأَنَّ الْأَصْـلَ الْأَعْظَـمَ فِيـهِ رَبْـطُ الْقَلْـبِ بِذَلِـكَ الْأَمْـرِ، وَإِحْـكَامُ الْهِمَّـةِ وَالْوَهْـمِ فِيـهِ، وَذَلِـكَ إِنَّـمَا يَتَأَتَّـى مِـنَ النِّسَـاءِ لِقِلَّـةِ عِلْمِهِـنَّ وَشِـدَّةِ شَـهْوَتِهِنَّ؛ فَـلَا جَـرَمَ كَانَ هَـذَا الْعَمَـلُ مِنْهُـنَّ أَقْـوَى.

فَـإِنْ قُلْـتَ: قَوْلُـهُ مِـنْ شَرِّ مـا خَلَـقَ تَعْمِيـمٌ فِي كُلِّ مَـا يُسْـتَعَاذُ مِنْـهُ، فَـمَا مَعْنَـى الِاسْـتِعَاذَةِ بَعْـدَهُ مِـنَ الْغَاسِـقِ وَالنَّفَّاثَـاتِ وَالْحَاسِـدِ؟ قُلْـتُ: قَـدْ خَـصَّ شَرَّ هَـؤُلَاءِ مِـنْ كُلِّ شَرٍّ لِخَفَـاءِ أَمْـرِهِ، وَأَنَّـهُ يَلْحَـقُ الإِنْسَـانَ مِـنْ حَيْـثُ لَا يَعْلَـمُ، كَأَنَّـمَا يَغْتَـالُ بِهِ[٢] وَتَنْبِيهًـا عَـلَى أَنَّ هَـذِهِ الـشُّرُورَ أَعْظَـمُ أَنْـوَاعِ الـشَّرِّ[٣].

۞ **وَقَـالَ الْبِقَاعِـيُّ:** وَلَمَّـا كَانَ كُلُّ سَـاحِرٍ شِرِّيرًا بِخِلَافِ الْغَاسِـقِ وَالْحَاسِـدِ، وَكَانَ السِّـحْرُ أَضَرَّ مِـنَ الْغَسَـقِ وَالْحَسَـدِ مِـنْ جِهَـةِ أَنَّـهُ شَرٌّ كُلُّـهُ، وَمِـنْ جِهَـةِ

---

(١) «بَدَائِعُ الْفَوَائِدِ» (٢/ ٢٢١).

(٢) «تَفْسِيرُ الزَّمَخْشَرِيِّ» (٤/ ٨٢٢) «التَّسْهِيلُ لِعُلُومِ التَّنْزِيلِ» (٢/ ٥٢٧).

(٣) «تَفْسِيرُ الرَّازِيِّ = مَفَاتِيحُ الغَيْبِ أَوْ التَّفْسِيرُ الْكَبِيرُ» (٣٢/ ٣٧٥).

أَنَّهُ أَخْفَى مِنْ غَيْرِهِ، وَكَانَ مَا هُوَ مِنْهُ مِنَ النِّسَاءِ أَعْظَمَ؛ لِأَنَّ مَبْنَى صِحَّتِهِ وَقُوَّةَ تَأْثِيرِهِ قِلَّةُ الْعَقْلِ وَالدِّينِ وَرَدَاءَةِ الطَّبْعِ وَضَعْفِ الْيَقِينِ وَسُرعَةِ الِاسْتِحَالَةِ، وَهُنَّ أَعْرَقُ فِي كُلٍّ مِنْ هَذِهِ الصِّفَاتِ وَأَرْسَخُ، وَكَانَ مَا وُجِدَ مِنْهُ مِنْ جَمْعٍ وَعَلَى وَجْهِ الْمُبَالَغَةِ أَعْظَمَ مِنْ غَيْرِهِ عَرَّفَ وَبَالَغَ وَجَمَعَ وَأَنَّثَ لِيَدْخُلَ فِيهِ مَا دُونَهُ مِنْ بَابِ الْأُولَى فَقَالَ تَعَالَى: ﴿ٱلنَّفَّٰثَٰتِ﴾ [الفلق: ٤] أَيْ النُّفُوسُ السَّاحِرَةُ سَوَاءٌ كَانَتْ نُفُوسَ الرِّجَالِ أَوْ نُفُوسَ النِّسَاءِ[١].

وَلَمَّا كَانَ أَعْظَمَ حَامِلٍ عَلَى السِّحْرِ وَغَيْرِهِ مِنْ أَذَى النَّاسِ الْحَسَدُ، وَهُوَ تَمَنِّي زَوَالِ نِعْمَةِ الْـمَحْسُودِ:

وَدَارَيْتُ كُلَّ النَّاسِ إِلَّا لِحَاسِدٍ ... مُدَارَاتُهُ عَزَّتْ وَشَقَّ نَوَالُهَا

وَكَيفَ يُدَارِي الْـمَرْءُ حَاسِدَ نِعْمَةٍ ... إِذَا كَانَ لَا يُرْضِيهِ إِلَّا زَوَالُهَا[٢]

(١) «نَظْمُ الدُّرَرِ» (٢٢/ ٤١١).

(٢) «نَظْمُ الدُّرَرِ» (٢٢/ ٤١٢).

﴿ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴾ [الفلق: ٥]

حَسَدَ

الْحَسَدُ: تَمَنِّي زَوَالِ نِعْمَةٍ مِنْ مُسْتَحَقٍّ لَهَا، وَرُبَّمَا كَانَ مَعَ ذَلِكَ سَعْيٌ فِي إِزَالَتِهَا[١].

وَرَأَى ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ أَنَّهُ مِنَ الْحَسْدَلِ: الْقُرَادُ الَّذِي يَقْشِرُ الْجِلْدَ فَيَمْتَصُّ دَمَهُ.

الْمَعْنَى الْمِحْوَرِيُّ التَّرْكِيبُ يُعَبِّرُ عَنْ: شُعُورٍ حَادٍّ يَحْتَبِسُ فِي جَوْفِ الْحَاسِدِ فَيَكْرَهُ وُجُودَ النِّعْمَةِ عِنْدَ الْمَحْسُودِ إِنْ كَانَتْ مَوْجُودَةً، وصيرُوتهَا إِلَيْهِ إِنْ لَمْ تَكُنْ. وَصُورَتُهُ فِي الْقُرْآنِ الكَرِيمِ تُحِقُّ هَذَا التَّحْدِيدَ. ﴿ أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ ﴾ [النساء: ٥٤]، ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم ﴾ [البقرة: ١٠٩] فَهُمْ يَوَدُّون ذَلِكَ السُّوءَ لِلْمُؤْمِنِينَ غَيْظًا مِنْ تَمَتُّعِهِمْ بِنِعْمَةِ الْإِيمَانِ دُونَهُمْ؛ لِأَنَّهُمْ كَانُوا يَعْرِفُونَ أَنَّ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى حَقٍّ. وَكَذَلِكَ مَا جَاءَ فِي طَلَبِ الْمُخَلَّفِينَ إِلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذَا انْطَلَقُوا إِلَى مَغَانِمَ لِيَأْخُذُوهَا ﴿ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ ﴾ أَخْبَرَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَنَّهُمْ عِنْدَ الرَّدِّ ﴿قُل لَّن تَتَّبِعُونَا ﴾، فَإِنَّ الْمُخَلَّفِينَ سَيَقُولُونَ ﴿ بَلْ تَحْسُدُونَنَا ﴾ [الفتح: ١٥] فَهُمْ لَمَّا اعْتَقَدُوا أَنَّ الْمُؤْمِنِينَ يُرِيدُونَ حِرْمَانَهُمْ مِنَ الْفَوْزِ بِالْغَنِيمَةِ سَمَّوا ذَلِكَ حَسَدًا. وَمِنْهُ ﴿ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴾ [الفلق: ٥][٢].

---

(١) «الْمُفْرَدَاتُ فِي غَرِيبِ الْقُرْآنِ» (ص ٢٣٤).

(٢) «الْمُعْجَمُ الِاشْتِقَاقِيُّ الْمُؤَصَّلُ» (١/ ٤٢٧).

وَالْحَسَدُ هُوَ تَمَنِّي زَوَالِ نِعْمَةِ الْمَحْسُودِ وَإِنْ لَمْ يَصِرْ لِلْحَاسِدِ مِثْلُهَا، وَالْمُنَافَسَةُ هِيَ تَمَنِّي مِثْلِهَا وَإِنْ لَمْ تَزُلْ، فَالْحَسَدُ شَرٌّ مَذْمُومٌ، وَالْمُنَافَسَةُ رَغْبَةٌ مُبَاحَةٌ، وَقَدْ رُوِيَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: (الْمُؤْمِنُ يَغْبِطُ، وَالْمُنَافِقُ يَحْسُدُ)[1].

۞ **وَقَالَ الْعِرَاقِيُّ عَنْ هَذَا الْحَدِيثِ:** لَمْ أَجِدْ لَهُ أَصْلًا مَرْفُوعًا، وَإِنَّمَا هُوَ مِنْ قَوْلِ الْفُضَيْلِ بْنِ عِيَاضٍ.

وَحَقِيقَةُ الْحَسَدِ: شِدَّةُ الْأَسَى عَلَى الْخَيْرَاتِ تَكُونُ لِلنَّاسِ الْأَفَاضِلِ، وبِحَسَبِ فَضْلِ الْإِنْسَانِ وَظُهُورِ النِّعْمَةِ عَلَيْهِ يَكُونُ حَسَدُ النَّاسِ لَهُ؛ فَإِنْ كَثُرَ فَضْلُهُ كَثُرَ حُسَّادُهُ، وَإِنْ قَلَّ قَلُّوا؛ لِأَنَّ ظُهُورَ الْفَضْلِ يُثِيرُ الْحَسَدَ، وَحُدُوثُ النِّعْمَةِ يُضَاعِفُ الْكَمَدَ.

۞ **وَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ:** مَا كَانَتْ نِعْمَةُ اللهِ عَلَى أَحَدٍ إِلَّا وَجَدَ لَهَا حَاسِدًا، لَكِنْ قَدْ يَكُونُ الرَّجُلُ فِي طَبِيعَتِهِ الحَسَدُ، وهُوَ غَافِلٌ عَنِ المَحْسُودِ لَاهٍ عَنْهُ، فَإِنْ خَطَرَ عَلَى ذِكْرِهِ وقَلْبِهِ؛ انْبَعَثَتْ نَارُ الحَسَدِ مِنْ قَلْبِهِ إِلَيْهِ، وَوُجِّهَتْ إِلَيْهِ سِهَامُ الحَسَدِ مِنْ قَلْبِهِ، فيَتَأَذَّى المَحْسُودُ بِمُجَرَّدِ ذَلِكَ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَعِذْ بِاللهِ ويتَحَصَّنْ بِهِ، وَيَكُونُ لَهُ أَوْرَادٌ مِنَ الأَذْكَارِ وَالدَّعَوَاتِ وَالتَّوَجُّهِ إِلَى اللهِ وَالإِقْبَالِ عَلَيْهِ، بِحَيثُ يَدْفَعُ عَنْهُ مِنْ شَرِّهِ بِمِقْدَارِ تَوجُّهِهِ وَإِقْبَالِهِ عَلَى اللهِ، وَإِلَّا نَالَهُ شَرُّ الحَاسِدِ وَلَا بُدَّ؛ فَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِذَا حَسَدَ﴾ بَيَانٌ أَنَّ شَرَّهُ إِنَّمَا يَتَحَقَّقُ إِذَا حَصَلَ مِنْهُ الحَسَدُ بِالفِعْلِ.

---

(١) «النُّكَتُ وَالْعُيُونُ» (٦/ ٣٧٧).

الفَرْقُ بَيْنَ العَيْنِ وَالحَسَدِ:

العَائِنُ وَالحَاسِدُ يَشْتَرِكَانِ فِي شَيْءٍ، وَيفْتَرِقَانِ فِي شَيْءٍ:

فَيشْتَرِكَانِ فِي أَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا تَتَكَيَّفُ نَفْسُهُ وَتَتَوجَّهُ نَحْوَ مَنْ يُرِيدُ أَذَاهُ؛ فَالعَائِنُ تَتَكَيَّفُ نَفْسُهُ عِنْدَ مُقَابَلَةِ المَعِينِ وَمُعَايَنَتِهِ، وَالحَاسِدُ يَحْصُلُ لَهُ ذَلِكَ عِنْدَ غَيَابِ المَحْسُودِ وَحُضُورِهِ أَيْضًا.

وَيَفْتَرِقَانِ فِي أَنَّ العَائِنَ قَدْ يُصِيبُ مَنْ لَا يَحْسُدُهُ مِنْ جَمَادٍ، أَوْ حَيَوَانٍ، أَوْ زَرْعٍ، أَوْ مَالٍ.

وإِنْ كَانَ لَا يَكَادُ يَنْفَكُّ مِنْ حَسَدِ صَاحِبِهِ، وَرُبَّمَا أَصَابَتْ عَينُهُ نَفْسَهُ؛ فَإِنَّ رُؤْيَتَهُ لِلشَّيْءِ رُؤْيَةَ تَعَجُّبٍ وَتَحْدِيقٍ مَعَ تَكَيفِ نَفْسِهِ بِتِلْكَ الكَيفِيَّةِ تُؤَثِّرُ فِي المَعِينِ[1].

إِنَّمَا جَاءَ فِي السُّورَةِ ذِكْرُ الحَاسِدِ دُونَ العَائِنِ؛ لِأَنَّهُ أَعَمُّ، فَكُلُّ عَائِنٍ حَاسِدٌ وَلَا بُدَّ، وَلَيْسَ كُلُّ حَاسِدٍ عَائِنًا، فَإِذَا اسْتَعَاذَ مِنْ شَرِّ الحَسَدِ؛ دَخَلَ فِيهِ العَيْنُ، وَهَذَا مِنْ شُمُولِ القُرْآنِ الكَرِيمِ وَإِعْجَازِهِ وَبَلَاغَتِهِ.

وَأَصْلُ الحَسَدِ: هُوَ بُغْضُ نِعْمَةِ الله عَلَى المَحْسُودِ وَتَمَنِّي زَوَالِهَا؛ فَالحَاسِدُ عَدُوُّ النِّعَمِ، وَهَذَا الشَّرُّ هُوَ مِنْ نَفْسِ الحَاسِدِ وَطَبْعِهَا، لَيسَ هُوَ شَيْئًا اكْتَسَبَهُ مِنْ غَيرِهَا، بَلْ هُو مِنْ خُبْثِهَا وَشَرِّهَا، بِخِلَافِ السِّحْرِ؛ فَإِنَّهُ إِنَّمَا يكُونُ بِاكْتِسَابِ أُمُورٍ أُخْرَى، وَاسْتِعَانَةٍ بِالأَرْوَاحِ الشَّيْطَانِيَّةِ؛ فَلِهَذَا

(١) «بَدَائِعُ الْفَوَائِدِ» (٢/ ٢٣١).

-وَاللهُ أَعْلَمُ- قَرَنَ فِي السُّورَةِ بَينَ شَرِّ الحَاسِدِ وَشَرِّ السَّاحِرِ؛ لِأَنَّ الِاسْتِعَاذَةَ مِنْ شَرِّ هَذَينِ تَعُمُّ كُلَّ شَرٍّ يَأْتِي مِنْ شَيَاطِينِ الإِنْسِ وَالجِنِّ؛ فَالحَسَدُ مِنْ شَيَاطِينِ الإِنْسِ وَالجِنِّ، وَالسِّحْرُ مِنَ النَّوْعَيْنِ.

الشَّيْطَانُ يقَارِنُ السَّاحِرَ وَالحَاسِدَ وَيُحَادِثُهُمَا وَيُصَاحِبُهُمَا، وَلَكِنَّ الحَاسِدَ تُعِينُهُ الشَّيَاطِينُ بِلَا اسْتِدْعَاءٍ مِنْهُ لِلْشَّيْطَانِ؛ لِأَنَّ الحَاسِدَ شَبِيهٌ بِإِبْلِيسَ، وَهُوَ فِي الحَقِيقَةِ مِنْ أَتْبَاعِهِ؛ لِأَنَّهُ يَطْلُبُ مَا يُحِبُّهُ الشَّيطَانُ مِنْ فَسَادِ النَّاسِ وَزَوَالِ نِعَمِ اللهِ عَنْهُمْ، كَمَا أَنَّ إِبْلِيسَ حَسَدَ آدَمَ لِشَرَفِهِ وَفَضْلِهِ، وَأَبَى أَنْ يَسْجُدَ لَهُ حَسَدًا؛ فَالحَاسِدُ مَنْ جُنْدِ إِبْلِيسَ، وَأَمَّا السَّاحِرُ؛ فَهُو يَطْلُبُ مِنَ الشَّيْطَانِ أَنْ يُعِينَهُ وَيَسْتَعِينَهُ، وَرُبَّمَا يَعَبُدُهُ مِنْ دُونِ اللهِ تَعَالَى حَتَّى يَقْضِيَ لَهُ حَاجَتَهُ، وَرُبَّمَا يَسْجُدُ لَهُ[1].

📖 **لِمَاذَا خَتَمَ اللَّهُ هَذِهِ السُّورَةَ بِالِاسْتِعَاذَةِ مِنَ الحُسَدِ:**

۞ **قَالَ الْحُسَيْنُ بْنُ الْفَضْلِ:** إِنَّ اللهَ جَمَعَ الشُّرُورَ فِي هَذِهِ الآيَةِ وَخَتَمَهَا بِالحَسَدِ؛ لِيُعْلَمَ أَنَّهُ أَخَسُّ الطَّبَائِعِ[2].

(١) «بَدَائِعُ الْفَوَائِدِ ط عَالَمُ الْفَوَائِدِ» (٢/ ٧٥٨).

(٢) «تَفْسِيرُ الثَّعْلَبِي = الْكَشْفُ وَالْبَيَانُ عَنْ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ» (٣٠/ ٥٤٢).

وَفِي الِاسْتِعَاذَةِ مِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ وَجْهَانِ:

* **أحَدُهُما**: مِن شَرِّ نَفْسِهِ وعَيْنِهِ، فَإِنَّهُ رُبَّما أَصابَ بِها فَعَانَ وضَرَّ، وَالمَعْيُونُ الْـمُصَابُ بِالعَيْنِ، وَقَالَ الشَّاعِرُ:

قَدْ كَانَ قَوْمُكَ يَحْسِبُونَكَ سَيِّدًا وَإِخَالُ أَنَّكَ سَيِّدٌ مَعْيُونُ

وَقَالَ قَتَادَةُ: مَعْنَاهُ: «مِنْ شَرِّ عَيْنِهِ وَنَفْسِهِ»[1] أَيْ: إِذَا ظَهَرَ حَسَدُهُ؛ لِأَنَّ حَسَدَ الحَاسِدِ لَا يَضُرُّ إِلَّا إِذَا ظَهَرَ مِنْهُ ذَلِكَ بِفِعْلٍ أَوْ قَوْلٍ.

* **الثَّانِي**: أَنْ يَحْمِلَهُ فَرْطُ الحَسَدِ عَلى إِيْقَاعِ الشَّرِّ بِالمَحْسُودِ فَإِنَّهُ يَتْبَعُ المَسَاوِئَ ويَطْلُبُ العَثَرَاتِ[2].

وَقَدْ قِيلَ إِنَّ الْحَسَدَ أَوَّلُ ذَنْبٍ عُصِيَ اللَّهُ بِهِ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ فَحَسَدَ إِبْلِيسُ آدَمَ حَتَّى أَخْرَجَهُ مِنَ الْجَنَّةِ، وَأَمَّا فِي الْأَرْضِ فَحَسَدَ قَابِيلُ بْنُ آدَمَ لِأَخِيهِ هَابِيلَ حَتَّى قَتَلَهُ، نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شَرِّ مَا اسْتَعَاذْنَا مِنْهُ.

وَقَالَ ابْنُ زَيْدٍ: «يَهُودُ، لَمْ يَمْنَعْهُمْ أَنْ يُؤْمِنُوا بِهِ إِلَّا حَسَدُهُمْ»[3].

وَقَالَ الطَّبَرِيُّ: أَوْلَى الْقَوْلَيْنِ بِالصَّوَابِ فِي ذَلِكَ، قَوْلُ مَنْ قَالَ: أُمِرَ النَّبِيُّ ﷺ أَنْ يَسْتَعِيذَ مِنْ شَرِّ كُلِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ، فَعَابَهُ أَوْ سَحَرَهُ، أَوْ بَغَاهُ سُوءًا وَإِنَّمَا قُلْنَا: ذَلِكَ أَوْلَى بِالصَّوَابِ؛ لِأَنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ لَمْ يُخَصِّصْ مِنْ قَوْلِهِ

(١) «تَفْسِيرُ الطَّبَرِيِّ» (٢٤/ ٧٥١).

(٢) «النُّكَتُ وَالْعُيُونُ» (٦/ ٣٧٧).

(٣) «تَفْسِيرُ الطَّبَرِيِّ» (٢٤/ ٧٥١).

وَمِـنْ شَرِّ حَاسِـدٍ إِذَا حَسَـدَ حَاسِـدًا دُونَ حَاسِـدٍ، بَـلْ عَـمَّ أَمْـرَهُ إِيَّـاهُ بِالِاسْـتِعَاذَةِ مِـنْ شَرِّ كُلِّ حَاسِـدٍ، فَذَلِـكَ عَـلَى عُمُومِـهِ[(١)].

فَإِنْ قُلْتَ: فَلِمَ عَرَّفَ بَعْضَ الْـمُسْتَعَاذِ مِنْهُ وَنَكَّرَ بَعْضَهُ؟

قَـالَ الزَّمَخْـشَرِيُّ: عَـرَّفَ النَّفَّاثَـاتِ؛ لِأَنَّ كُلَّ نَفَّاثَـةٍ شِرِّيـرَةٌ، وَنَكَّـرَ غَاسِـقًا؛ لِأَنَّـهُ لَيْـسَ كُلُّ غَاسِـقٍ شِرِّيـرًا، وَأَيْضًـا لَيْـسَ كُلُّ حَاسِـدٍ شِرِّيـرًا، بَـلْ رُبَّ حَسَـدٍ يَكُـونُ مَحْمُـودًا وَهُـوَ الْحَسَـدُ فِي الْخَـيْرَاتِ. وَمِنْهُ قَوْلُـهُ عَلَيْـهِ الصَّـلَاةُ وَالسَّـلَامُ: «لَا حَسَـدَ إِلَّا فِي اثْنَتَـيْنِ»[(٢)].

وَقَالَ أَبُو تَمَّامٍ: وَمَا حَاسِدٌ فِي الْـمَكْرُمَاتِ بِحَاسِدِ

وَقَالَ: إِنَّ الْعُلَا حَسَنٌ فِي مِثْلِهَا الْحَسَدُ[(٣)].

إِذَا حَسَـدَ: أَيْ إِذَا ظَهَـرَ حَسَـدُهُ وَعَمِـلَ بِمُقْتَضَـاهُ؛ لِأَنَّـهُ إِذَا لَمْ يَظْهَـرْ أَثَـرُ مَـا أَضْمَـرَهُ فَـلَا ضَرَرَ يَعُـودُ مِنْـهُ عَـلَى مَـنْ حَسَـدَهُ، بَـلْ هُـوَ الضَّـارُّ لِنَفْسِـهِ لِاغْتِمَامِهِ بِسُرُورِ غَـيْرِهِ.

وَقَـالَ الْبِقَاعِـيُّ: وَلَمَّـا كَانَ الضَّـارُّ مِـنَ الحَسَـدِ إِنَّـمَا هُـوَ مَـا أَظْهَـرَ

---

(١) «تَفْسِيرُ الطَّبَرِيِّ» (٢٤/ ٧٥٢).

(٢) «صَحِيحُ الْبُخَارِيِّ» (١/ ٢٥) عَنْ عَبْدِ اللَّـهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ: رَجُلٌ آتَاهُ اللَّـهُ مَالًا فَسُلِّطَ عَلَى هَلَكَتِهِ فِي الحَقِّ، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللَّـهُ الحِكْمَةَ فَهُوَ يَقْضِي بِهَا وَيُعَلِّمُهَا».

(٣) «الْكَشَّافُ» (٤/ ٨٢٢).

وَعَمِـلَ بِمُقْتَضَـاهُ بِالْإِصَابَـةِ بِالْعَـيْنِ أَوْ غَيْرِهَـا قَـالَ مُقَيِّـدًا لَـهُ: ﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾ [الفلق: ٥] أَيْ حَسَـدَ بِالْفِعْـلِ بِعَيْنِـهِ الْحَاسِـدَةِ، وَأَمَّـا - إِذَا لَمْ يَظْهَـرْ الْحَسَـدُ فَإِنَّـهُ لَا يَتَـأَذَّى بِـهِ إِلَّا الحَاسِـدُ لِاغْتِمَامِـهِ بِنِعْمَـةِ غَـيْرِهِ، وَفِي إِشْـعَارِ الآيَـةِ الدُّعَـاءُ بِـمَا يَحْسُـدُ عَلَيْـهِ مِـنْ نِعَـمِ الدَّارَيْـنِ؛ لِأَنَّ خَـيْرَ النَّـاسِ مَـنْ عَـاشَ مَحْسُـودًا وَمَـاتَ مَحْسُـودًا، وَلَعَلَّـهُ عَـبَّرَ بِـأَدَاةِ التَّحْقِيـقِ إِشْـعَارًا بِـأَنَّ مَـنْ كَانَ ثَابِـتَ الْحَسَـدِ مُتَمَكِّنًـا مِـنَ الِاتِّصَـافِ بِـهِ بِـمَا أَشْـعُرَ بِـهِ التَّعْبِـيرُ بِالْوَصْـفِ تَحَقَّـقَ مِنْـهُ إِظْهَـارُهُ، وَلَمْ يَقْـدِرْ عَـلَى مُدَافَعَتِـهِ فِي الْأَغْلَـبِ إِلَّا مَـنْ عَصَـمَ اللَّـهُ تَعَـالَى، وَقَـدْ عُلِـمَ بِكَـوْنِ الحَسَـدِ عِلَّـةَ السِّـحْرِ - الْـمَوْقِعُ فِي الْقَتْـلِ الـذِي هُـوَ أَعْظَـمُ المَعَـاصِي بَعْـدَ الـشِّرْكِ وَفِي الـشِّرْكِ؛ لِأَنَّـهُ لَا يَصِـحُّ غَايَـةَ الصِّحَّـةِ إِلَّا مَـعَ الـشِّرْكِ - أَنَّ الحَسَـدَ شَرٌّ مَـا انْفَلَـقَ عَنْـهُ ظَـلَامُ العَـدَمِ[1].

(١) «نَظْمُ الدُّرَرِ» (٢٢/ ٤١٣).

📖 وَالْـحَسَدُ عَلَى دَرَجَاتٍ: -

* **الْأُولَى**: أَنْ يُحِبَّ الْإِنْسَانُ زَوَالَ النِّعْمَةِ عَنْ أَخِيهِ الْـمُسْلِمِ وَإِنْ كَانَتْ لَا تَنْتَقِلُ إِلَيْهِ بَلْ يَكْرَهُ إِنْعَامَ اللَّهِ عَلَى غَيْرِهِ وَيَتَأَلَّمُ بِهِ.

* **الثَّانِيَةُ**: أَنْ يُحِبَّ زَوَالَ تِلْكَ النِّعْمَةِ لِرَغْبَتِهِ فِيهَا رَجَاءَ انْتِقَالِهَا إِلَيْهِ.

* **الثَّالِثَةُ**: أَنْ يَتَمَنَّى لِنَفْسِهِ مِثْلَ تِلْكَ النِّعْمَةِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يُحِبَّ زَوَالَهَا عَنْ غَيْرِهِ وَهَذَا جَائِزٌ وَلَيْسَ بِحَسَدٍ وَإِنَّمَا هُوَ غِبْطَةٌ[١].

📖 وَالْحَاسِدُ يَضُرُّ نَفْسَهُ ثَلَاثَ مَضَرَّاتٍ:

* **أَحَدُهَا**: سُوءُ الْأَدَبِ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى، فَإِنَّ حَقِيقَةَ الْحَسَدِ كَرَاهِيَةُ إِنْعَامِ اللَّهِ عَلَى عَبْدِهِ، وَاعْتِرَاضٌ عَلَى اللَّهِ فِي فِعْلِهِ، وقَالَ: قَالَ ابْنُ أَبْجَرَ: فِي بَعْضِ الْكُتُبِ: يَقُولُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: الْحَاسِدُ عَدُوٌّ نِعْمَتِي، مُتَسَخِّطٌ لِقَضَائِي، غَيْرُ رَاضٍ بِقَسْمِي بَيْنَ عِبَادِي[٢].

* **الثَّانِيَةُ**: اِكْتِسَابُ الذُّنُوبِ؛ لِأَنَّ الحَسَدَ حَرَامٌ.

* **الثَّالِثَةُ**: تَأَلُّمُ قَلْبِهِ مِنْ كَثْرَةِ هَمِّهِ وَغَمِّهِ، قَالَ الْأَصْمَعِيُّ رَأَيْتُ أَعْرَابِيًّا قَدْ أَتَتْ لَهُ مِئَةٌ وَعِشْرُونَ سَنَةً، فَقُلْتُ لَهُ: مَا أَطْوَلَ عُمُرَكَ، قَالَ: تَرَكْتُ الْحَسَدَ فَبَقِيتُ[٣].

---

(١) «التَّسْهِيلُ لِعُلُومِ التَّنْزِيلِ» (٢/ ٥٢٧).

(٢) «الْـمُجَالَسَةُ وَجَوَاهِرُ الْعَلَمِ» (٣/ ٥١).

(٣) «الرِّسَالَةُ القُشَيْرِيَّةُ» (١/ ٢٨٨).

۞ وَعَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ؛ قَالَ: سِتَّةٌ لَا يَخْلُونَّ مِنَ الْكَآبَةِ: رَجُلٌ افْتَقَرَ بَعْدَ غِنًى، وَغَنِيٌّ يَخَافُ عَلَى مَالِهِ التَّوَى، وَحَقُودٌ، وَحَسُودٌ، وَطَالِبُ مَرْتَبَةٍ لَا يَبْلُغُهَا قَدْرُهُ، وَمُخَالَطَةُ الْعُلَمَاءِ بِغَيْرِ عِلْمٍ[1] فَنَرْغَبُ إِلَى اللَّهِ أَلَّا يَجْعَلَنَا حَاسِدِينَ، فَإِنَّ الْمَحْسُودَ فِي ابْتِلَاءٍ وَالْحَاسِدَ فِي كَرْبٍ وَنِقْمَةٍ.

قَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ: بَارَزَ الْحَاسِدُ رَبَّهُ مِنْ خَمْسَةِ أَوْجُهٍ:

* أَحَدُهَا: أَنَّهُ أَبْغَضَ كُلَّ نِعْمَةٍ ظَهَرَتْ عَلَى غَيْرِهِ.

* وَثَانِيهَا: أَنَّهُ سَاخِطٌ لِقِسْمَةِ رَبِّهِ؛ كَأَنَّهُ يَقُولُ: لِمَ قَسَمْتَ هَذِهِ الْقِسْمَةَ؟

* وَثَالِثُهَا: أَنَّهُ ضَادَّ فِعْلَ اللَّهِ، أَيْ: إِنَّ فَضْلَ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ، وَهُوَ يَبْخَلُ بِفَضْلِ اللَّهِ.

* وَرَابِعُهَا: أَنَّهُ خَذَلَ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ، أَوْ يُرِيدُ خِذْلَانَهُمْ وَزَوَالَ النِّعْمَةِ عَنْهُمْ.

* وَخَامِسُهَا: أَنَّهُ أَعَانَ عَدُوَّهُ إِبْلِيسَ.

وَقِيلَ: الْحَاسِدُ لَا يَنَالُ فِي الْمَجَالِسِ إِلَّا نَدَامَةً، وَلَا يَنَالُ عِنْدَ الْمَلَائِكَةِ إِلَّا لَعْنَةً وَبَغْضَاءَ، وَلَا يَنَالُ فِي الْخَلْوَةِ إِلَّا جَزَعًا وَغَمًّا، وَلَا يَنَالُ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا حُزْنًا وَاحْتِرَاقًا، وَلَا يَنَالُ مِنَ اللَّهِ إِلَّا بُعْدًا وَمَقْتًا، وَاللَّهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- أَعْلَمُ[2].

---

(١) «الْمُجَالَسَةُ وَجَوَاهِرُ الْعِلْمِ» (٣/ ٥٢).

(٢) «تَفْسِيرُ الْقُرْطُبِيِّ» (٢٠/ ٢٦٠).

أَقْوَالُ السَلَفِ عَنِ الْحَسَدِ:

❁ قَالَ مُعَاوِيَةُ بْنُ أَبِي سُفْيَانَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: لَيْسَ فِي خِصَالِ الشَّرِّ أَعْدَلُ مِنَ الْحَسَدِ، يَقْتُلُ الْحَاسِدَ قَبْلَ أَنْ يَصِلَ إِلَى الْمَحْسُودِ.

❁ وَقَالَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: كُلُّ النَّاسِ أَسْتَطِيعُ أَنْ أُرْضِيَهُ؛ إِلَّا حَاسِدَ نِعْمَةٍ؛ فَإِنَّهُ لَا يُرْضِيهِ إِلَّا زَوَالُهَا[(١)].

❁ وَعَنْ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ قَالَ: لَمْ أَرَ ظَالِمًا أَشْبَهَ بِالْمَظْلُومِ مِنْ حَاسِدٍ[(٢)].

❁ وَقَالَ بَكْرُ بْنُ عَبْدِ اللهِ الْمُزَنِيُّ: ذَنْبُكَ إِلَى الْحَاسِدِ دَوَامُ نِعَمِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ عَلَيْكَ[(٣)].

❁ وَعَنِ ابْنِ عُيَيْنَةَ؛ قَالَ: الْحَسَدُ أَوَّلُ ذَنْبٍ عُصِيَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ بِهِ فِي السَّمَاءِ - يَعْنِي حَسَدَ إِبْلِيسَ آدَمَ -، وَهُوَ أَوَّلُ ذَنْبٍ عُصِيَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ بِهِ فِي الْأَرْضِ، وَحَسَدَ ابْنُ آدَمَ أَخَاهُ فَقَتَلَهُ[(٤)].

❁ وَعَنْ سُفْيَانَ بْنِ عُيَيْنَةَ قَالَ: الْغِلُّ هُوَ الْحَسَدُ، فَمَا خَرَجَ مِنْهُ فَهُوَ الشَّرُّ، وَمَا بَقِيَ مِنْهُ فَهُوَ الْغِلُّ؛ وَلَيْسَ يَسْلَمُ أَحَدٌ أَنْ يَكُونَ فِيهِ شَيْءٌ مِنَ الْحَسَدِ؛ وَكَانَ

(١) «الْمُجَالَسَةُ وَجَوَاهِرُ الْعَلَمِ» (٣/ ٥٠).
(٢) «تَفْسِيرُ الزَّمَخْشَرِيِّ= الْكَشَّافُ عَنْ حَقَائِقِ غَوَامِضِ التَّنْزِيلِ» (٤/ ٨٢٢).
(٣) «الْمُجَالَسَةُ وَجَوَاهِرُ الْعَلَمِ» (٣/ ٤٩).
(٤) «الْمُجَالَسَةُ وَجَوَاهِرُ الْعَلَمِ» (٣/ ٥٢).

يُقَالُ: الْجِهَادُ عَشَرَةٌ: فَجِهَادُ الْعَدُوِّ وَاحِدٌ، وَجِهَادُكَ نَفْسَكَ تِسْعَةٌ[١].

۞ **وَعَنِ الْفُضَيْلِ بْنِ عِيَاضٍ قَالَ:** (إِنَّ اللهَ تَعَالَى يَقْسِمُ الْمَحَبَّةَ كَمَا يَقْسِمُ الرِّزْقَ، وَكُلُّ ذَا مِنَ اللهِ تَعَالَى، وَإِيَّاكُمْ وَالْحَسَدَ، فَإِنَّهُ لَيْسَ لَهُ دَوَاءٌ؛ وَمَنْ عَامَلَ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ بِالصِّدْقِ أَوْرَثَهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ الْحِكْمَةَ[٢].

۞ **وَقَالَ الشَّافِعِيُّ:** الْحَسَدُ، إِنَّمَا يَكُونُ مِنْ لُؤْمِ الْعُنْصُرِ، وَتَعَادِي الطَّبَائِعِ، وَاخْتِلَافِ التَّرْكِيبِ، وَفَسَادِ مِزَاجِ الْبِنْيَةِ، وَضَعْفِ عَقْدِ الْعَقْلِ؛ الْحَاسِدُ: طَوِيلُ الْحَسَرَاتِ، عَادِمُ الدَّرَجَاتِ[٣].

۞ **وَعَنْ حَاتِمٍ - الْأَصَمِّ - قَالَ:** أَصْلُ الْمُصِيبَةِ ثَلَاثَةُ أَشْيَاءَ: الْكِبْرُ، وَالْحِرْصُ، وَالْحَسَدُ[٤].

۞ **وَقَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ لِلْحَجَّاجِ:** إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا وَهُوَ يَعْرِفُ عَيْبَ نَفْسِهِ؛ فَعِبْ نَفْسَكَ، فَقَالَ: اعْفِنِي يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ! فَأَبَى، فَقَالَ: أَنَا لَجُوجٌ، حَقُودٌ، حَسُودٌ. فَقَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ: مَا فِي الشَّيْطَانِ شَرٌّ مِمَّا ذَكَرْتَ[٥].

---

(١) «حِلْيَةُ الْأَوْلِيَاءِ وَطَبَقَاتُ الْأَصْفِيَاءِ» (٧/ ١٨٤).
(٢) «حِلْيَةُ الْأَوْلِيَاءِ وَطَبَقَاتُ الْأَصْفِيَاءِ» (٨/ ٩٩).
(٣) «حِلْيَةُ الْأَوْلِيَاءِ وَطَبَقَاتُ الْأَصْفِيَاءِ» (٩/ ١٤٧).
(٤) «حِلْيَةُ الْأَوْلِيَاءِ وَطَبَقَاتُ الْأَصْفِيَاءِ» (٨/ ٧٩).
(٥) «الْمُجَالَسَةُ وَجَوَاهِرُ الْعِلْمِ» (٣/ ٤٩).

❁ **وَعَنِ ابْنِ السَّمَّاكِ وَقِيلَ لَهُ:** أَيُّ الْأَعْدَاءِ لَا تُحِبُّ أَنْ يَعُودَ لَكَ صَدِيقًا؟ قَالَ: مَنْ سَبَبُ عَدَاوَتِهِ النِّعْمَةُ - يَعْنِي الْحَاسِدَ[١].

مَرَّ ابْنُ سِيرِينَ بِقَوْمٍ، فَقَامَ إِلَيْهِ رَجُلٌ، فَقَالَ لَهُ: يَا أَبَا بَكْرٍ! إِنَّا قَدْ نِلْنَا مِنْكَ فَحَلِّلْنَا. فَقَالَ: لَا، إِنِّي لَا أُحِلُّ مَا حَرَّمَ اللهُ عَلَيْكَ، فَأَمَّا مَا كَانَ إِلَيَّ؛ فَهُوَ لَكُمْ[٢].

❁ **قِيلَ لِعَبْدِ اللهِ بْنِ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ بْنِ الْعَوَّامِ:** تَرَكْتَ الْمَدِينَةَ دَارَ الْهِجْرَةِ، فَلَوْ رَجَعْتَ لَقِيتَ النَّاسَ وَلَقِيَكَ النَّاسُ. فَقَالَ: وَأَيْنَ النَّاسُ؟ إِنَّمَا النَّاسُ رَجُلَانِ؛ شَامِتٌ لِنَكْبَةٍ، أَوْ حَاسِدٌ لِنِعْمَةٍ[٣].

❁ **قَالَ بَعْضُهُمْ:** أَقَلُّ مَا لِتَارِكِ الْحَسَدِ فِي تَرْكِهِ أَنْ يَصْرِفَ عَنْ نَفْسِهِ عَذَابًا لَيْسَ بِمُدْرِكٍ بِهِ حَظًّا وَلَا غَائِظًا بِهِ عَدُوًّا، فَإِنَّا لَمْ نَرَ ظَالِمًا قَطُّ أَشْبَهُ بِمَظْلُومٍ مِنَ الْحَاسِدِ: طُولُ الْأَسَفِ، وَمُحَالَفَةُ كَآبَةٍ، وَلَا يَبْرَحُ زَارِيًا نِعَمَ اللهِ لَا يَجِدُ لَهُ مَزَالًا، وَيُكَدِّرُ عَلَى نَفْسِهِ مَا بِهِ مِنَ النِّعْمَةِ؛ فَلَا يَجِدُ لَهَا طَعْمًا، وَلَا يَزَالُ سَاخِطًا عَلَى مَنْ لَا يَتَرَضَّاهُ، وَمُتَسَخِّطًا لِمَا لَا يَنَالُ؛ فَهُوَ مُنَغَّصُ الْمَعِيشَةِ، دَائِمُ السَّخَطِ، مَحْرُومُ الطَّلِبَةِ، لَا بِمَا قَسَمَ اللهُ لَهُ يَقْنَعُ، وَلَا عَلَى مَا لَمْ يُقْسَمْ لَهُ يَغْلِبُ، وَالْمَحْسُودُ يَتَقَلَّبُ فِي فَضْلِ اللهِ، مُبَاشِرٌ لِلسُّرُورِ مُنْتَفِعٌ

---

(١) «الْمُجَالَسَةُ وَجَوَاهِرُ الْعَلَمِ» (٣/ ٥٠).

(٢) «الْمُجَالَسَةُ وَجَوَاهِرُ الْعَلَمِ» (٣/ ٥٤).

(٣) «الْمُجَالَسَةُ وَجَوَاهِرُ الْعَلَمِ» (٥/ ١٨٢).

بِـهِ، مُمَهَّـلٌ فِيـهِ إِلَى مُـدَّةٍ لَا يَقْـدِرُ النَّـاسُ لَهَـا عَـلَى قَطْـعٍ وَانْتِقَـاصٍ[١].

۞ **وَعَـنِ السُّـدِّيِّ؛ قَـالَ:** مَـنْ خَـافَ سُـلْطَانًا عَتِيـدًا، أَوْ شَـيْطَانًا مَرِيـدًا، أَوْ سَـاحِرًا، أَوْ شَـيْئًا مِـنَ الأَشْـيَاءِ؛ فَلْيَقُـلْ أَعُـوذُ بِوَجْـهِ اللهِ الْجَلِيـلِ، وَبِكَلِـمَاتِ اللهِ التَّامَّـاتِ، وَبِاسْـمِ اللهِ الْعَظِيـمِ وَقُدْرَتِـهِ الَّتِـي لا تُـرَامُ، وَبِوَجْـهِ اللهِ ذِي الْجَـلَالِ وَالإِكْـرَامِ؛ مِـنْ شَرِّ مَـا خَلَـقَ وَذَرَأَ وَبَـرَأَ، وَمِـنْ شَرِّ حَسَـدِ كُلِّ حَاسِـدٍ، وَبَغْـيِ كُلِّ بَـاغٍ؛ وَمِـنْ شَرِّ مَـا أَفْزَعَنِـي وَرَاعَنِـي[٢].

۞ **وَقَـالَ مُحَمَّـدُ بْـنُ سِـيرِينَ.** مَـا حَسَـدْتُ أَحَـدًا قَـطُّ عَـلَى شَيْءٍ؛ إِنْ كَانَ مِـنْ أَهْـلِ النَّـارِ فَكَيْـفَ أَحْسُـدُهُ عَـلَى شَيْءٍ مِـنَ الدُّنْيَـا وَمَصِـيرُهُ إِلَى النَّـارِ؟! وَإِنْ كَانَ مِـنْ أَهْـلِ الْجَنَّـةِ؛ فَكَيْـفَ أَحْسُـدُ رَجُـلًا مِـنْ أَهْلِهَـا أَوْجَـبَ اللهُ تَبَـارَكَ وَتَعَـالَى لَـهُ رِضْوَانَـهُ؟! قَـالَ بَعْـضُ الْعُلَـمَاءِ: مَـا سَـمِعْنَا شَـيْئًا أَحْسَـنَ مِـنْ هَـذَا فِي كَلامِ ابْـنِ سِـيرِينَ[٣].

۞ **وَقَـالَ مَالِـكُ بْـنُ دِينَـارٍ:** أَقْبَـلُ شَـهَادَةَ الْقُـرَّاءِ فِي كُلِّ شَيْءٍ إِلا بَعْضَهُـمْ عَـلَى بَعْـضٍ؛ فَإِنَّهُـمْ أَشَـدُّ تَحَاسُـدًا مِـنَ التُّيُـوسِ[٤].

(١) «الْـمُجَالَسَةُ وَجَوَاهِرُ الْعَلَمِ» (٥/ ٣٣٣).

(٢) «الْـمُجَالَسَةُ وَجَوَاهِرُ الْعَلَمِ» (٦/ ٢٣٠).

(٣) «الْـمُجَالَسَةُ وَجَوَاهِرُ الْعَلَمِ» (٧/ ٦٧).

(٤) «الْـمُجَالَسَةُ وَجَوَاهِرُ الْعَلَمِ» (٧/ ٧٥).

أَقْوَالُ الشُّعَرَاءِ فِي الْحَسَدِ: -

قَالَ الشَّاعِرُ:

وَأَظْلَمُ خَلْقِ اللَّهِ مَنْ بَاتَ حَاسِدًا مَـن بَـاتَ فِـي نَعْمَائِهِ يَتَقَلَّبُ

وقَالَ:

إِنَّ الْحُسُودَ الظَّلُومَ فِي كَرْبٍ يَخَالُهُ مَنْ يَرَاهُ مَظْلُوما
ذَا نَفَسٍ دَائِمٍ عَلَى نَفَسٍ يُظْهِرُ مِنْهَا مَا كَانَ مَكْتُوما

وَقَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ الْمُعْتَزِّ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى:

اصْبِرْ عَلَى كَيْدِ الْحَسُو دِ فَإِنَّ صَبْرَكَ قَاتِلُه
فَالنَّارُ تَأْكُلُ بَعْضَهَا إِنْ لَمْ تَجِدْ مَا تَأْكُلُه

وَقَالَ أَبُو تَمَّامٍ الطَّائِيُّ:

وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ نَشْرَ فَضِيلَةٍ طُوِيَتْ أَتَاحَ لَهَا لِسَانَ حَسُودِ
لَوْلَا اشْتِعَالُ النَّارِ فِيمَا جَاوَرَتْ مَا كَانَ يُعْرَفُ طِيبُ عَرْفِ الْعُودِ

وَقَالَ مَحْمُودُ الْوَرَّاقُ:

أَعْطَيْتُ كُلَّ النَّاسِ مِنْ نَفْسِي الرِّضَى إِلَّا الْحَسُودَ فَإِنَّهُ أَعْيَانِي
مَا إِنَّ لِي ذَنْبًا إِلَيْهِ عَلِمْتُهُ إِلَّا تَظَاهُرَ نِعْمَةِ الرَّحْمَنِ

وَأَبَـى فَـمَا يُرْضِيـهِ إِلَّا ذِلَّتِـي وَذَهَـابُ أَمْـوَالِي وَقَطْـعُ لِسَـانِي

وَقَالَ آخَرُ:

وَإِنِّي لأَرْحَـمُ حُسَّادِي لِفَـرْطِ مَا ضَمَّـتْ صُـدُورُهُمُ مِـنَ الْأَوْغَارِ

نَظَـرُوا صَنِيـعَ اللهِ بِـي فَعُيُونُهُمْ فِـي جَـنَّةٍ وَقُلُـوبُهُمْ فِـي نَـارِ

وَقَالَ آخَرُ:

إِنْ يَحْسُدُونِي فَـإِنِّي غَيـرُ لائِمِهِمْ قَبْلِي مِنَ النَّاسِ أَهْلُ الْفَضْلِ قَدْ حُسِدُوا

فَدامَ لِـي وَلَهُم مَـا بِي وَمَـا بِـهِمُ وَمَـاتَ أَكْثَـرُنَا غَيـظاً بِمَا يَجِدُ

ثُـمَّ إِنَّ الْحَسُـودَ لَا تُـزَالُ عَدَاوَتُـهُ وَلَا تَنْفَـعُ مُدَارَاتُـهُ وَهُـوَ ظَـالِمٌ يُشَـاكِي كَأَنَّـهُ مَظْلُـومٌ، وَلَقَـدْ صَـدَقَ الْقَائِـلُ:

كُلُّ العَدَاوَةِ قَـدْ تُرْجَـى إِزَالَتُـهَا إِلَّا عَـدَاوَةَ مَنْ عَادَاكَ مِنْ حَسَدٍ[١]

كَيْفِيَّةُ السَّلَامَةِ مِنَ الْحُسَّادِ:

بِالِاسْتِعَاذَةِ بِاللَّـهِ مِـنْ شَرِّهِـمْ، وَالْـمُحَافَظَةِ عَـلَى الْأَذْكَارِ كَأَذْكَارِ الصَّبَاحِ وَالْـمَسَاءِ، وَتَجَنُّـبِ مُخَالَطَـةِ مَـنْ تَظُنُّـهُ يَحْسُـدُ النَّـاسَ، وَإِخْفَـاءِ النِّعَـمِ الَّتِـي لَا تَظْهَرُ قَـدْرَ الْـمُسْتَطَاعِ.

(١) «أدب الدنيا والدين» (ص٢٦٩)«تَفْسِيرُ الزَّمَخْشَرِيِّ» (٤/ ٨٢١) «التَّسْهِيلُ لِعُلُومِ التَّنْزِيلِ» (٢/ ٥٢٧).

۞ قَالَ الْأَصْمَعِيُّ: وَإِذَا أَرَدْتَ أَنْ تَسْلَمَ مِنَ الْحَاسِدِ؛ فَعَمِّ عَلَيْهِ أُمُورَكَ[1].

وَفِي قِصَّةِ إِخْوَةِ يُوسُفَ - عَلَيْهِ السَّلَامُ -: ﴿وَقَالَ يَٰبَنِيَّ لَا تَدْخُلُواْ مِنۢ بَابٖ وَٰحِدٖ وَٱدْخُلُواْ مِنْ أَبْوَٰبٖ مُّتَفَرِّقَةٖ﴾ [يوسف:٦٧]. يُسْتَفَادُ مِنْ هَذِهِ الْآيَةِ الْأَخْذُ بِالْأَسْبَابِ الَّتِي يُتَّقَى بِهَا الْحَسَدُ.

(١) «الْمُجَالَسَةُ وَجَوَاهِرُ الْعَلَمِ» (٣/ ٥٠).

قِصَّةُ أَحَدِ الْـحُسَّادِ:

۞ عَـنْ بَكْـرِ بْـنِ عَبْـدِ اللَّــهِ، قَـالَ: كَانَ فِيمَـنْ كَانَ قَبْلَكُـمْ مَلِـكٌ وَكَانَ لَـهُ حَاجِـبٌ يُقَرِّبُـهُ وَيُدْنِيـهِ وَكَانَ هَـذَا الْحَاجِـبُ يَقُـولُ: أَيُّهَـا الْــمَلِكُ أَحْسِـنْ إِلَى الْــمُحْسِنِ، وَدَعِ الْــمُسِيءَ تَكْفِيـكَ إِسَـاءَتُهُ، قَـالَ: فَحَسَـدَهُ رَجُـلٌ عَـلَى قُرْبِهِ مِنَ الْــمَلِكِ فَسَـعَى بِـهِ فَقَـالَ: أَيُّهَـا الْــمَلِكُ، إِنَّ هَـذَا الْحَاجِـبَ هُـوَ ذَا يُخْبِرُ النَّـاسَ أَنَّـكَ أَبْخَـرُ قَـالَ: وَكَيْـفَ لِي بِـأَنْ أَعْلَـمَ ذَلِـكَ؟ قَـالَ: إِذَا دَخَـلَ عَلَيْـكَ تُدْنِيـهِ لِتُكَلِّمَـهُ فَإِنَّـهُ يَقْبِـضُ عَـلَى أَنْفِـهِ قَـالَ: فَذَهَـبَ السَّـاعِي فَدَعَـا الْحَاجِـبَ إِلَى دَعْوَتِـهِ وَاتَّخَـذَ مَرَقَـةً وَأَكْثَـرَ فِيهَـا الثُّـومَ فَلَـمَّا أَنْ كَانَ مِـنَ الْغَـدِ دَخَـلَ الْحَاجِـبُ فَأَدْنَـاهُ الْــمَلِكُ لِيُكَلِّمَـهُ بِشَيْءٍ فَقَبَـضَ عَـلَى فِيـهِ فَقَـالَ لَـهُ الْــمَلِكُ: تَنَـحَّ فَدَعَـا بِالـدَّوَاةِ، وَكَتَـبَ لَـهُ كِتَابًـا وَخَتَمَـهُ وَقَـالَ: اذْهَـبْ بِهَـذَا إِلَى فُـلَانٍ، وَكَانَـتْ جَائِزَتُـهُ مِائَـةَ أَلْـفٍ فَلَـمَّا أَنْ خَـرَجَ اسْـتَقْبَلَهُ السَّـاعِي فَقَـالَ: أَيُّ شَيْءٍ هَـذَا قَـالَ: قَـدْ دَفَعَـهُ إِلَيَّ الْــمَلِكُ فَاسْـتَوْهَبَهُ فَوَهَبَـهُ لَـهُ فَأَخَـذَ الْكِتَـابَ وَمَـرَّ بِـهِ إِلَى فُـلَانٍ فَلَـمَّا أَنْ فَتَحُـوا الْكِتَـابَ دَعَـوْا بِالذَّبَّاحِـينَ فَقَـالَ: اتَّقُـوا اللهَ يَـا قَـوْمُ، فَـإِنَّ هَـذَا غَلَـطٌ وَقَـعَ عَلَيَّ، وَعَـاوِدُوا الْــمَلِكَ، فَقَالُـوا: لَا يَتَهَيَّـأُ لَنَا مُعَـاوِدَةُ الْــمَلِكِ وَكَانَ فِي الْكِتَـابِ: إِذَا أَتَاكُـمْ حَامِـلُ كِتَـابِي هَـذَا فَاذْبَحُـوهُ وَاسْـلَخُوهُ وَاحْشُـوهُ التِّبْـنَ وَوَجِّهُـوهُ إِلَيَّ، فَذَبَحُـوهُ وَسَـلَخُوا جِلْـدَهُ وَوَجَّهُـوا بِـهِ إِلَيْـهِ فَلَـمَّا أَنْ رَأَى الْــمَلِكُ ذَلِـكَ تَعَجَّـبَ، فَقَـالَ لِلْحَاجِـبِ: تَعَـالَ وَحَدِّثْنِـي وَاصْدُقْنِـي، لَـمَّا أَدْنَيْتُـكَ لِـمَاذَا قَبَضْـتَ عَـلَى أَنْفِـكَ؟ قَـالَ: أَيُّهَـا الْــمَلِكُ إِنَّ هَـذَا دَعَـانِي إِلَى دَعْوَتِـهِ وَاتَّخَـذَ مَرَقَةً

وَأَكْثَرَ فِيهَا الثُّومَ فَأَطْعَمَنِي فَلَمَّا أَنْ أَدْنَانِي الْمَلِكُ قُلْتُ: يَتَأَذَّى الْمَلِكُ بِرِيحِ الثُّومِ، فَقَالَ: ارْجِعْ إِلَى مَكَانِكَ وَقُلْ مَا كُنْتَ تَقُولُهُ وَوَصَلَهُ بِمَالٍ عَظِيمٍ أَوْ كَمَا ذَكَرَهُ[1].

(١) «الرِّسَالَةُ القُشَيْرِيَّةُ» (٢/ ٢٢٨ - ٢٢٩).